رواية

زمن الظلم

عثمان يا عثمان

دار التميمة للنشر الإلكتروني

زمن الظلم

اسم الكتاب: زمن الظلم

اسم الكاتب: عثمان يا عثمان

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-319-251226

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2026م / 1447هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

@ bassmabook

bassmabook@gmail.com

المملكة المغربية

كل الحقوق محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأيّ صورة نشرَ أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيٍّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

زمن الظلم

رواية

عثمان يا عثمان

دار البسمة للنشر الإلكتروني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إهداء إلى روح الأستاذة السالكة الراجي

إلى روح أستاذتي العزيزة الراجي السالكة، فقد ساهمت في هذه الرواية

بتصحيحها، وكانت هي تصحح كل ما أكتبه بكل الحب، كانت علاقتي معها مثل علاقة الابن مع أمه، وبالفعل كانت أمي الثانية على الرغم أننا كنا نتحدث عبر الواتساب ولم يسبق لنا اللقاء في الواقع، ومع الأسف الشديد قد غادرت إلى دار البقاء قبل نشر هذه الرواية، اللهم ارحمها يا رب العالمين.

وأقول في المناسبة:

قلت لك أني

أريد أن أصف

الرواية بشكل رحلة إنسانية

ولكن لم أكن أعرف حينها

أن قريبًا ستنتهي

رحلتي الإنسانية معك،

مع الإنسانة التي قد حملت أحلامي

وأصبحت أحلامها هي أيضًا

كأني ابن آخر لها

وقلت لك إني

سوف أكتب اسمك

لأنك أنت التي

قد ساعدتني في

إنجاز تلك الرواية

ردت عليَّ:

لا يا ابني العزيز
أنا فقط صححت
بعض الأخطاء
لم أكن أعرف حينها
أن هذه الرواية الأخيرة
سيكون شرف لي بأن
قرأتها ووضعت
بسمتك الراقية فيها
أتمنى من كل من
قرأها وأعجبته
سندعوا لك بالرحمة
لأنك تستحقين

– إلى كل سيدة تقاوم عقبات الحياة بالحكمة، وخصوصاً التي لا أحد بجانبها.

– إلى كل أم ابنها من ذوي الإعاقة أيًّا كانت إعاقته وخصوصاً إذا كانت إعاقته صعبة، وتستحق منا كل احترام وتقدير على كل ما تعيشه مع ابنها بصمت، دون أن تقول * هذا كثير عليَّ وقد

تعبت * وستحاول الرواية اقترابكم مما تعيشه، وخلال هذه الرحلة الإنسانية يمكنكم أن تحسوا بما تعيشه أمهات الأشخاص المعاقين.

– إلى كل شخص في وضعية إعاقة ولا يستسلم لوضعيته، ويتحدى إعاقته من أجل الوصول إلى الحقيقة بأن الإعاقة ليست هي النهاية، على الرغم من نظرات المجتمع، ويتحدى كل العقبات والصعوبات التي قد تكون في طريقه من أجل هدفه.

– إلى كل صديق أو صديقة يستحق هذه الصفة، وهو لا يتخلى عن أصدقائه مهما كانت الظروف.

– إلى كل يقبل الاختلاف، الاختلاف في الرأي وفي الأفكار وفي اللغات وغير ذلك، وخصوصاً إلى إنسان يقبل اختلاف الآخر في الشكل أو عيشِه بسبب الإعاقة وأخذه لكي يكون شريك في حياته.

مع التحيات وجزيل الشكر إلى المصور الفوتوغرافي

عثمان بنغواك على مساهمته في هذا العمل الأدبي.

لنعتبر الرواية بشكل رحلة إنسانية والتي سوف نكتشف خلالها مقدار الظلم الموجود ليس في محيطنا فقط بل حتى في نظراتنا ونحن لا ندري.

حول امرأة عصامية، القدَر جعلها المرأة الأرملة عندما كان أبناؤها صغارًا، في المجتمع الذكوري الذي لديه نظرة ظالمة حول البيت بدون رجل، لذلك قد واجهتها مجموعة من العقبات في الشغل وفي الحي الذي عاشت فيه منذ الولادة، لدرجة أن الناس الذين كانت تعتبرهم عائلتها لم يرحموها بسبب زوجها الميت، وكانت تعاني أيضًا مع ابنها الكبير فقد كان من ذوي الإعاقة العميقة، وهو الآخر كان يعاني بصمت بسبب الإقصاء الاجتماعي والنظرة الظالمة لدى المجتمع تجاهه، وستتحدث الرواية عن إعاقته وصعوباتها انطلاقًا من التجربة الشخصية وعن بداية حياته التي بلا هدف كانت ..

كان يا مكان في زمن الظلم، الزمن القاسي على الفقير وخاصة على المرأة التي لا أحد في جانبها.

كانت الأسرة تعيش بدون رب الأسرة لأن القدر غيبه عن هذه الدنيا قبل أن يرى أبنائه وقد كبروا وأصبحوا رجال، وأم تلك الأسرة (سعاد) هي التي كانت تقاوم ذلك الزمن من أجل أن تعيش وأبنائها. كان لديها إثنين من الأبناء. كان ابنها البكر حمزة يعاني من إعاقة الشلل الدماغي التي تؤثر فقط على الحركة وعلى النطق بل على جسد الإنسان كله، وهذه الإعاقة من أصعب الإعاقات الموجودة في هذا العالم لأن أصحابها يعانون من أكثر من إعاقة واحدة وأيضا يعانون من نظرة المجتمع إليهم لأنه يجهل ماهي إعاقتهم الحقيقية.

كان حمزة يعيش في مجتمعه كرضيع فقط في أنظار محيطه ورغم أنه بلغ من العمر إثنين وعشرون سنة ليس لديه أي شهادة تعليمية ولا مهنية.

ذات صباح استيقظت سعاد في الفجر كعادتها كل يوم من أجل أن تذهب إلى عملها وقبل ذلك يجب أن تقوم بمهمة، يبدو عليها أنها مريضة وأنها لا تستطيع أن تقوم من السرير، رغم ذلك قاومت المرض وقامت.

بعد عشرة دقائق، حضرت وجبة الإفطار ثم ذهبت إلى المكان الذي ينام فيه حمزة.

وقالت: استيقظ يا عزيزي من النوم، استيقظ لكي أطعمك، يا ابني أني تأخرت على الشغل، هيا يا ابني استيقظ..

لقد استيقظ حمزة من النوم ثم حملته سعاد وذهبا إلى الحمام وبعدما انتهوا من الحمام رجعا الى الغرفة التي كانا فيها ثم وضعته على السرير كي تطعمه.

وبعد قليل كانت سعاد تطعم حمزة ويبدو أنه لديه صعوبات في الأكل. كانت سعاد تعاني مع ابنها حمزة بصمت ولكنها تحمد إلهها وتشكره على كل حال. حمزة هو الآخر أيضا كان يعاني بصمت لأنه يرى والدته في معاناة كبيرة ولكنه لا يقدر على فعل أي شيء لأنه في أنظار مجتمعه ودولته أيضا مثل الشيء، عالة أو مثل إنسان ولد في هذه الحياة طوال عمره ليكون رضيعا فقط رغم أن جسده يكبر. فقط يجب الإحسان إليه،

هذا في نظر مجتمعه ودولته فقط، لكن في الحقيقة؛ توجد حقيقة الأخرى، والمجتمع للأسف الشديد يجهلها.

وبعد، أرجعته إلى مكانه كي ينام مرة أخرى ولكنه لم يستطع أن يرجع إلى النوم م مرة ثانية فكان يراقبها سرا عندما تريد أن تخرج من البيت، وهي كانت تستعد للخروج ثم نظرت إلى ابنيها وغادرت البيت.

استمر حمزة في المراقبة ونزلت دمعة من عينيه دون أن يحس.

وقال في نفسه: سامحني يا أمي، يا إلهي هل ولدت في هذه الدنيا لكي أكون عالة على والدتي، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، سامحني يا إلهي على هذا الكلام الذي قلته، ولدي أمنية واحدة فهي أتمنى أن في يوم ما أستطيع أن أحمل مسؤوليتي من أجل أن ترتاح والدتي.

بعد ساعتين..

وصلت سعاد إلى الفندق لأن هناك تعمل كعاملة نظافة

. وبعد، كانت سعاد تغير ملابسها في غرفة الملابس وكان يراقبها سرا خالد (وهو مديرها) ولكن نظرته لها غريبة وليست

نظرة المدير إلى الموظفة بل نظرة الذئب عندما يرى طعامه، فلاحظت وجود أحد يراقبها سرا وتفاجأت. فعرف خالد أنها قد لاحظت وجوده فابتعد عن الباب قليلا.

فخرجت سعاد فوجدته بالقرب من الباب، تفاجأت وكانت تخشى أن يقول لها شيئا بسبب تأخرها.

قال لها: صباح النور، يا سيديّ سعاد هل أنتِ أصبحت متعبة أو مريضة اليوم؟

ردت عليه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا سيدي، سيدي سامحني أرجوك على تأخري عن الشغل، لقد تأخرت بالمنزل مع ابني الذي هو مريض، سامحني.

قاطعها قائلا: كلا، لا تفهميني خطأ أنا فقط سألتك إذا حدث لك شيء أو لأبنائك، كيف حال ابنك حمزة؟ أتمنى أن يكون بخير.

فأجابته: هو بخير، شكرا جزيلا لك يا سيدي.

قال: عفوا هذا واجب، إذا أراد حمزة أو أخيه أي شيء من فضلك أخبريني لكي ألبي طلبهم لأنهم مثل أبنائي.

مرت بعض زميلات سعاد من جانبهم وبينهن زميلتها فاطمة، وهذه الزميلة تغار من سعاد لأن سعاد لديها مكانة خاصة في قلوب زميلاتها.

رأت فاطمة سعاد وهي تتحدث مع المدير ثم قالت لإحدى الزميلات بالعيون: انتبهي إلى سعاد إنها تتحدث مع المدير....

وقد رأت الزميلة سعاد وخالد ثم اقتربت منها فاطمة

وقالت لها: يا ترى بماذا تتحدثين مع المدير؟ يا حنان.

أجابتها حنان: ربما تتحدث أُختي سعاد مع السيد خالد عن سبب تأخرها لأنّها تأخرت وتعتذر منه عن ذلك يا أُختي فاطمة.

فضحكت فاطمة، وقالت: أبيض قلبك هو الذي جعلك تفكرين كذلك، وأنا لا أظن بأن هدف سعاد من التحدث معه أنها تعتذر منه عن التأخير بل ربما لديها هدف آخر.

فقالت حنان وهي منفعلة: اخرسي لأن زميلتنا سعاد ليست من ذاك النوع من النساء، فإنها امرأة عصامية وتقاوم هذه الحياة رغم صعوباتها من أجل أبنائها وخاصة من أجل ابنها الكبير لأنه من ذوي الاحتياجات الخاصة.

ردت عليها فاطمة: طيب، ولكن لا تثقي بها كثيرا.

لقد لاحظت سعاد وجود زميلاتها.

فقالت لخالد: شكرا جزيلا على اهتمامك بأبنائي، ولو سمحت سوف ألتحق بعملي.

رد عليها: طبعا، تفضلي.

التحقت سعاد بزميلاتها، فاستقبلوها زميلاتها بكل الحب والسرور إلا فاطمة كان في قلبها شر لسعاد، ورغم أن سعاد لم تفعل أي شر لها كانت تكرهها كثيرا بدون سبب، وكان خالد ينظر إلى سعاد وهو مبتسما وابتسامة الشر، فلاحظت فاطمة بأنه ينظر إليهم وسعاد لاحظت ذلك أيضا، ثم ذهب.

كان خالد يوميا يراقب سعاد عن بعد عندما تعمل، لم يكن يريد من مراقبته أن يعرف أنها تعمل جيدا أم لا، بل كان يريد شيئا آخر بعيد كل البعد عن علاقة المدير مع موظفة عنده ورغم أنه متزوج: كان يرغب في فعل علاقة غير شرعية مع سعاد.

مرت الأيام تلوى الأيام كانت تصرفات خالد تزداد وقاحة، وقد أحست سعاد بما يريد منها فغضبت كثيرا ولكنها لم تستطع أن

تقول أي شيء لأنّها كانت تخاف من أن تطرد من الشغل، وهـــذا الشغل كانت تحتاج إليه كثيرا لأنه بفضله تلبي احتياجات أبنائهـــا وخاصة حمزة، وهو الآخر كان يحتاج إلى أشياء كثـــيرة في الشـــهر الواحد فقط ومنها دواء غالي حتى بالنسبة لراتب ســـعاد. فراتبهـــا ليس بكاف لمصاريف العيش. وحمزة بسبب هذا الأمر كـــان غـــير راض على هذا الوضع ولكن للأسف الشديد لا يستطيع أن يفعـــل أي شيء لأنه في سجن نظرة المجتمع الذي لا يعتـــرف بوجـــوده بطريقة غير مباشرة، وبعض الأحيان تترك سعاد نفسها جوعا مـــن أجل أن تشتري لحمزة دواءه، ولكنها لم تستسلم لما يريـــد خالـــد وكانت تقاومه بصمت.

في أحد المساءات كانت سعاد تريد أن تخرج من الفندق فجاء أتى عندها خالد وتظهر الأنانية على وجهه.

وقال لها: سعاد! يا سعاد هل زميلاتك خرجوا؟

أجابته: نعم يا سيدي، قد خرجوا قبل قليل وانا سأخرج الآن.

رد عليها: للأسف، لكنك أنتِ هل يمكنك أن تبقي هنا؟ الآن أخبروني بأنه سوف يأتي إلى هنا بالفندق مجموعة من رجال الأعمال

من كندا وفرنسا، لذا يجب أن تكون الغرف جاهزة لاستقبالهم.. هل من الممكن أن تنظفينها قبل أن تذهبي؟

أجابته قائلا: لقد تأخرت عن أبنائي ويجب أن أذهب إلى بيتي الآن... ولكن يا سيدي سوف أنظفها بسرعة قبل أن أذهب.

فقال لها: شكرا جزيلا يا سيدتي سعاد، قلت ذلك لك لأنه لا يوجد أحد لكي يقوم بهذا العمل إلا أنت.

قالت: عفوا يا سيدي هذا واجب، سأذهب لكي أبدًا.

بعد أن مرت ساعة، كانت سعاد تنظف تلك الغرف التي أمرها بتنظيفها خالد، يظهر عليها التعب، لكن تفكيرها كله لحمزة لأنّها كانت تفكر فيه فقالت لنفسها: أتمنى ألا يكون ابني حمزة يحتاجني، يا إلهي يجب علي أن أنتهي بسرعة من أجل أن أذهب عند ابني حمزة.

في نفس الوقت ببيتها بالفعل كان حمزة يحتاج إليها كثيرا لأنه في وضع صعب ويريد أن يذهب إلى الحمام ولكنه لا يستطيع الذهاب إليه ولا أحد في البيت لكي يساعده على الذهاب، وفي نفس الوقت هو كان يتساءل في نفسه عن سبب تأخر والدته

وقال في نفسه: يا إلهي أين بقيت والدتي، أتمنى أن تكون والدتي بخير ولم يحدث لها أي شر، يا أمي أينك.

مرت الساعة تلوى الأخرى.

مازالت سعاد لم ترجع إلى منزلها ووضع حمـــزة ازداد صـــعوبة وهو في حاجة إلى الذهاب إلى الحمام ولكنه لا يستطيع، فقط كـــان يصبر رغم هذا صعب ولكن لا يستطيع أن يفعل أي شيء إلا الصبر حتى تأتي والدته سعاد إلى المنزل.

فقال لنفسه وهو غاضب: يا حمزة اصبر، هل لا تســـتطيع أن تفعل ذلك بعد؟ طيب لماذا تعيش؟ هل لكي تتعب النـــاس معـــك؟ لماذا.. لماذا؟

سقطت الدمعة من عينه دون أن يحس.

في تلك اللحظة بالفندق، قد انتهت سعاد من عملها وخرجت فالتقت بخالد عند باب الفندق ثم اقترح عليها أنه يوصلها إلى بيتها ولكنها رفضت في الأول.

قال خالد: السلام عليكم يا سيدتي سعاد، هل انتهيت؟

أجابته: نعم يا سيدي قد انتهيت من عملي، وهل يمكنني الآن أن أذهب.

رد عليها: طبعا ممكن، شكرا جزيلا على هذه الخدمة لم يكن أحد يمكنه أن يقوم بها إلا أنت، أذن هيا لكي أوصلك إلى بيتك.

وقالت: لا. يا سيدي لا داعي لأن تزعج نفسك معي، سوف آخذ سيارة أجرة لكي توصلني...

قاطعها قائلا: أين سيارة أجرة في هذه الساعة لأن الوقت تأخر، يا سيدتي سعاد أريد أن أوصلك ولن أريد أن أسمع منك لا وشكرا.

فقالت له: حسنا يا سيدي وشكرا جزيلا.

مشيت سعاد إلى جهة موقف السيارات وأما خالد مشي وراءها وهو مبتسما ويظهر عليه أنه لا يريد أن يوصلها بسيارته.

بعد ساعة، أوصلها إلى حارتها، شكرته وحاولت الخروج من السيارة ولكنه منعها فقدم إليها مصروفا فتفاجأت

وقالت باستغراب: ما هذا؟ يا سيدي ولماذا أعطيته لي؟

رد عليها: لكي قبل أن تخرجي اشتري شيئا لأبنائـــك، لهـــذا أعطيتك هذا.

فقالت: شكرا جزيلا يا سيدي، ولكن لا يمكن أن أقبله.

قال: ولكن ستأخذينه لأنه من حقك، ولكن كفى من أن تقولي لي يا سيدي، فهل لم يظهر لك حبي.

فحاول الاقتراب منها بكل جرأة ووقاحة.

في ذلك الوقت لم يكن حمزة يستطيع أن يصبر بعد وقد عملت الطبيعة عملتها.

فصاح بأعلى صوت: لا لا لا مستحيل!.

غضب ونزلت الدموع من عينيه.

وقال في نفسه: ماذا يا حمزة، ماذا فعلت؟ كيف ترى أمك بهذه الحالة؟ وماذا ستقول لها؟

استمرت الدموع تنزل من عينيه، فخرجت سعاد من ســـيارة خالد وهي غاضبة ثم مشت في الشارع، فتبعها خالد وهو يناديها: يا سعاد.. يا سعاد.. يا سعاد.

لم تكن سعاد تريد أن ترد عليه، لكن بعد قليل من الوقت لقد ردت عليه ووقفت.

قالت: ماذا! يا سيدي خالد، لماذا عملت معي ذلك؟

أجابها قائلا: أتأسف على ذلك، يا سعاد بالحقيقة أحبك كثيرا وأتمنى أن تكون بيننا أي علاقة، هل نكون مع بعضنا البعض؟

فقالت بغضب: كيف تجرأت على قول ذلك الكلام لي رغم انك متزوج؟ كيف.. كيف؟

رد عليها بكل وقاحة: ليس مشكلا زواجي لأن إذا توافقي على أن تتزوجني بالسر أعدك لا أحد يعرف أمر زواجنا، أعدك سوف نعيش بخير وبسعادة يا حبيبتي.

(ضحكت سعاد) وقالت: (وقلتِ أيضًا يا حبيبتي، طيب إذا وافقتِ على الزواج بك، وإذا حكم القدر أن نُنجب طفلًا، وبعد خمسة وعشرين عامًا كبر ابننا وكذلك أبناؤك مع زوجتك الحقيقية، في يوم ما التقى ابننا بإحدى أخواته وقررا أن يتزوجا من بعضهما البعض، ماذا ستفعل حينها؟ فهل تستطيع أن تقول إنك متزوج من امرأة ثانية غيرها؟ وكيف تقول لها: يا سيدي، ارجع إلى منزلك لأن هناك توجد امرأة في انتظارك وهي الوحيدة لديها حق فيك لأنها

زوجتك وأم أبنائك؟ يا سيدي، ربما نسيت أنني أم، وابني الكبير صحيح أنه معاق، ولكن بعيني هو رجل البيت الطبيعي، وفعلاً هو رجل طبيعي ولكن المجتمع لا يعترف به. يجب أن أذهب إلى بيتي الآن وسوف أخرج من الشغل لأنه من المستحيل أن أبقى فيه بعد هذه الليلة. مع السلامة يا سيدي).

ذهبت دون أن تسمع ما سيرد عليها به وأما هو فكان ينظر إليها وتظهر عليه المفاجأة.

نادى عليها قائلا: يا سعاد.. يا سعاد إرجاعي لكي نكمل كلامنا، يا سعاد.. يا سعاد.

لم تجبه ذهبت، وكان في مراقبتهم جمال وهو جار سعاد، رأى كل ما حدث بين سعاد وخالد ولكنه رأى وفهم أمور كما يريد هو.

قال لنفسه وهو ضاحك: إذن أنتِ من هذا النوع من النساء يا سعاد، وأصبحوا الرجال يوصلونك إلى منزلك، سقطتي في شبكتي.

ثم ذهب.

بمنزل سعاد دخل أناس (وهو أخ حمزة الصغير) ورأى أخيه في ذلك الوضع ثم انفجر بالضحك.

قال: يا أخي حمزة... يا حمزة ماذا فعلت؟ وهل لم تكن تستطيع أن تصبر حتى تأتي أمي أو فقط حتى آتي أنا؟

استمر آناس في الضحك، وحمزة تمنى لو كان مات ولم يراه أخيه في ذلك الوضع السيء، فانفجر بالبكاء وتفاجأ آناس.

قال له: يا حمزة لماذا تبكي؟ أنا آسف كنت أضحك معك فقط، والآن ابقى هنا حتى تأتي أمي، يا ترى لماذا تأخرت؟

وكانت سعاد تمشي في الشارع وهي حزينة وتوجد دموع في عينيها وتتسأل ماذا جعل خالد يعاملها تلك المعاملة في حين كانت تعامله بالاحترام الشديد لأنه مديرها، وبعد أن وصلت إلى مترلها قبل دخول إلى المترل قامت بمسح عينيها من الدموع ولكن مازلت تبكي داخليا، فسمع حمزة باب المترل وتساءل في نفسه كيف سوف يواجه والدته سعاد وماذا سيقول لها، فدخلت سعاد إلى المترل وهي مبتسمة وهي تخفي مشاعرها الحقيقية ولكن حمزة أحس بأنها ليست على طبيعتها فتحدث إليها

(رغم أنه لم يتكلم بالكل بسبب أن إعاقته تؤثر بشكل كبير على النطق: إن صاحب إعاقة الشلل الدماغي يعاني أيضا من إعاقة النطق وحدتها مختلفة من شخص إلى شخص الآخر، حمزة مثلا؛ هو

لا يستطيع أن يتكلم بالكل إلا بعض الكلمات قليلة وبسيطة مثل كلمة * ماما * وكلمة * بابا * وكلمة * ماء * يستطيع أن ينطقها ولكن ليس بشكل جيد، أضف إلى هذا أن سعاد تستطيع أن تفهمه بقلبها لأنّها والدته وأنه جزء كبير منها)

قالت سعاد: السلام عليكم يا ابني حمزة، كيف مر هذا اليوم عليك؟

فنظرت إليه وعرفت أنه في الحالة غير طبيعية فتفاجأت وغضبت كثيرا وانفجرت القنبلة التي كانت في قلب سعاد من معاملة خالد، للأسف الشديد الضحية هو ابنها حمزة الذي عليه انفجرت تلك القنبلة.

قالت بأعلى صوت: ماذا يا حمزة!؟! ماذا عملت؟ وكيف تجرأت على فعلها هنا؟ هل لم تفكر بي حين أعود للمنزل وأنا تعبة من الشغل؟ يا إلهي ماذا عملت في حياتي لكي تعاقبني هكذا؟ يا حمزة

تبقى هنا لأني لن أساعدك وانا تعبت منك ومن الكل في هذه الدنيا التي رأيت فيها التعب فقط.

لم يستطع حمزة أن يرد عليها وفقط اكتفى بالبكـــاء. ذهبـــت سعاد إلى غرفتها، حتى هي أيضا انفجرت بالبكاء وأناس سمـــع مـــا قالته والدته سعاد لحمزة لقد تأثر به ونزلت الدموع من عينيه مثـــل المطر.

الكل في المنزل أضحى يبكي لأن البكاء هو دواء لكل جـــرح داخليا ولكل إنسان شعر في أحد الأيام بالظلم فاحتاج إلى أنه يبكي لكي يرتاح قلبه وربما أن البكاء هو نعمة من عند الله سبحانه ونحن لا نحس بها.

بعد ساعة.

خرجت سعاد من غرفتها ويبدو أنها ندمت على الكلام الذي قالته لحمزة في الأول حينما أتت للمنزل، فرأت حمزة وهو ما زل في الوضع السيء وحزين جدا، واقتربت منه فلاحظ وجودها ولكن لم ينظر إلى عينيها لشدة خجله منها على وضعه.

فقالت له وهي حزينة: يا ابني حمزة أرجوك سامحني على كلامي معك عندما أتيت إلى المنزل، بسبب أنك في هـــذه الوضـــعية لأني

تأخرت كثيرا في العمل، الضرورة القاسية هي التي تركتني تأخرت في العمل.

فحاول حمزة من خلال إشارات يديه أن يقول لها: كلا يا أمي، لستي سبب بل أنا الوحيد السبب لأني لم اصبر حتى تأتي، أرجوك يا أمي أن تسامحيني.... ولكن كلامه غير مفهوم، على الرغم من ذلك استطاعت أن تفهمه.

فقالت (والدموع في عينيها ورغم ذلك هي مبتسمة): طيب يا عزيزي، هيا بنا لكي أحممك وبعدها سوف ترتدي ملابس جميلة.

حملت سعاد حمزة من الأرض ثم ساعدته على الذهاب إلى الحمام، وبعد ساعة كانت سعاد تحمم حمزة ويظهر عليها التعب الشديد، وأما حمزة متوتر ويبدو أنه غير راض أن والدته تحممه لأنه شخص بالغ، وسعاد كانت تائها في مشاعرها المتضاربة مع بعضها البعض ورغم ذلك كانت تبتسم في وجه حمزة.

في اليوم التالي، كان جمال في المقهى مع أصدقائه، وكان يتحدث معهم عن سعاد وقد أخبرهم بما حدث في ليلة الأمس وللأسف الشديد أضاف كذبا حول سعاد.

قال: يا جماعة لن تصدقوا ماذا حدث بليلة الأمس.

رد عليه أحد أصدقائه: ماذا؟! يا جمال، ماذا حدث بالأمس؟

فقال: بالأمس لقد رأيت جارتنا سعاد وقد أوصلها إلى منزلها رجل غريب عن حارة، فب الحقيقة منذ مدة لاحظت أن أفعالها تغيرت، يا رجال هذه المرأة أصبحت خطيرة ويجب أن نبعد عنها زوجاتنا.

فرد عليه أحد الأصدقاء منفعلا: ماذا قلت؟! يا جمال، كأنك تتحدث عن امرأة غريبة وليست السيدة سعاد لأن السيدة سعاد إنسانة طيبة وتقاوم هذه الحياة بكل عقباتها من أجل أن تعيش وأبنائها...

فقاطعه أربعة قائلين: يا مصطفى أصمت ربما كلام جمال صحيح لأنّها امرأة أرملة، الأرملة أو المطلقة تمشي في هذا الطريق لأنه ليس لديها رجل كي تخاف منه أو تهابه، صح يا جمال يجب أن نبعد زوجاتنا عنها، وليس هذا فقط بل يجب أيضا أن نخرجها من هذه الحارة لأننا لا يجب أن نتركها يجب أن ترحل من هذه الحارة قبل أن تلوثها بأعمالها القذرة.

أصدقاء جمال صدقوا كلامه وهذه بداية نشر الأخبار الكاذبة حول سعاد بين الجيران ومع الأسف الشديد صدقوها رغم أنهم

يعرفون سعاد منذ زمن طويل، ويستمر هذا الأمر حتى وصلت هذه الأكاذيب إلى زميلتها فاطمة لأنّها تعيش في نفس الحارة، كان يجب على فاطمة أن توقف هذه الأكاذيب ولكن للأسف الشديد لم تفعل ذلك بل أضافت إليها أكاذيب حول زميلتها سعاد، يوم وبعده يزداد كره الجيران لسعاد لدرجة أن تسلم عليهم ولكنهم لا يردوا عليها السلام، وفي مرة كانت سعاد تمشي في الحارة فالتقت بجارتها السعدية، هذه المرأة كانت سعاد تحترمها مثل والدتها ولكن قد تغيرت العلاقة بعد الأخبار الكاذبة، نادت سعاد على السعدية ولكنها لم ترد أن ترد عليها وتستمر في السير تفاجأت من معاملتها ثم سبقتها وأوقفتها، كانت السعدية لم ترغب في النظر إلى وجه سعاد لهذا كانت عيناها تنظرن إلى الأرض.

قالت السعدية بغضب: نعم يا سعاد !، ماذا تريدين مني؟

ردت عليها: يا خالتي السعدية أريد أن أسألك عن كيف حال صحتك، هل أنتِ بخير؟

فأجابتها قائلة: بخير الحمد لله، أتركيني لكي أذهب.

فقالت سعاد: الحمد لله، ولكن يا خالتي السعدية لماذا أصبحت تعاملني هكذا؟ هل عملت شيئا أزعجك؟ بالحقيقة أن كل الجيران

أصبحت تصرفاتهم غريبة، ماذا هناك؟ وأنا ماذا فعلت لكي أستحق تلك المعاملة؟

ردت عليها السعدية: إذا تريدين حب واحترام الجيران حقا لم ذهبتي في تلك الطريق؟

قالت باستغراب: ماذا !، أي طريق؟... أي طريق التي تتحدثين عنها؟

قالت السعدية وهي غاضبة: طريق الحرام، هل لم تخجلي عندما يوصلونك الغرباء؟ وهل لم تفكري بأبنائك عندما تكوني معهم؟ كنت أعاملك مثل ابنتي ولكن للأسف الشديد لا تستحقي هذه المعاملة..

قاطعتها سعاد قائلة وهي متأثرة: أصمتي يا سيدتي السعدية لأني لم أكن لك مثل ابنتك أبدًا لأني إذا كنت كذلك تكوني الآن تعرفين أن ابنتك بريئة من هذا، آسفة على الإزعاج.

ثم غادرت دون أن تكون فرحة كعادتها عندما تلتقي أو تذهب عند السعدية، والسعدية كانت تنظر إليها ويظهر عليها أنها قد تأثرت، نظرت السعدية خلفها فرأت أن ابنها يراقبها عن بعد ويبدو عليه الغضب، ذهبت عنده.

في ذلك اليوم رجعت سعاد إلى الفندق لكي تقدم استقالتها لأنّها فكرت مستحيل أن تبقى في عملها بعد فعل خالد، فدخلت إلى مكتب خالد ووجدته ليس الرجل الذي كان في تلك الليلة بل مختلف تماما.

قال لها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يا سيدتي سعاد ماذا تريدين؟

فقدمت له ورقة استقالة وأخذها منها، ثم قال لها باستغراب: ما هذا؟! يا سيدتي سعاد...

لقد قرأ الاستقالة ويبدو أنه تفاجأ.

فقال: لماذا تريدين أن تغادري عملك بالفندق؟ إذا كنت تريدي أن تخرجي بسبب تلك الليلة لا داعي لذلك واعملي كأن لم يقع أي شيء، كنت أريد أن أتحدث معك عنها يعني عن تلك الليلة، بالحقيقة أني كنت فيها غائب عن وعيي لهذا قلت لك ذلك الكلام وأتمنى أن تقبلي اعتذاري عنه ولن تخرجي من الفندق لهذا السبب.

ردت عليه سعاد: ولكن يا سيدي أفضل أن أتوقف عن العمل، لا أعتقد بأنه يمكنني أن أستمر في العمل بعد تلك الليلة..

قاطعها قائلا: يا سيدتي سعاد! أرجوك، أرجوك أن تنسي تلك الليلة، سوف يؤنبني ضميري إذا خرجت من العمل وطوال الوقت سأفكر فيك: ماذا ستفعلين خاصة أن ابنك الكبير معاقا، آسف، إنه من ذوي الاحتياجات الخاصة، أرجوك يا سيدتي لا تحمليني هذا الذنب والندم.

صمتت سعاد قليلا ويبدو أنها تفكر في داخلها.

وقالت: حسنا يا سيدي خالد، سوف أبقى في العمل ولكن أتمنى ألا ت يتكرر مرة أخرى كتلك الليلة.

فضحك خالد وقال: رائع! يا سيدتي سعاد، أعدك لن يتكرر أبدا.

ردت عليه: شكرا يا سيدي، يمكنني أن ألتحق بالعمل.

أجابها بالابتسامة ظاهرة في وجهه: طبعا، بالتوفيق.

خرجت سعاد من المكتب، ضحك خالد وفي اللحظة واحدة رجع إلى طبيعته الأنانية والوقحة المعروفة فيه وفقط كانت تختفي بقناع البراءة عندما كانت تتحدث معه سعاد.

بالفعل سعاد بقيت في وظيفتها بالفندق لأنّها اعتقدت بأن خالد تغير ولم تعرف سعاد أن الشيطان الرجيم يمشي بيننا بصورة ملاك، الأخبار الكاذبة ظلت تتابعها لدرجة أن ولدت عداوة بين الجيران وبين سعاد كبيرة إذا يريدوا أن يوقفوها لن يستطيعوا بفعل ذلك أبدا، ليست أن الأمور توقفت عند هذا الحد فقط بل لقد دخلت الأخبار الكاذبة إلى داخل عمل سعاد بفضل زميلتها فاطمة، وصلتها الوقاحة إلى درجة أن ذهبت عند زوجة خالد لكي تخبرها تلك الأكاذيب حول خالد وسعاد، وزوجته كانت تعمل في قسم الاستقبال بنفس الفندق الذي يعمل فيه زوجها خالد. مع الأسف الشديد أن زوجة خالد ليست إنسانة طيبة وصدقت كلام فاطمة فقررت أن تعاقب سعاد بنفسها.

يوم بعد يوم تصبح الحياة صعبة أكثر من قبل على سعاد لدرجة أنها كانت تخفي وجهها عن جيرانها عندما تلتقي بهم في الشارع وذات الليلة كانوا سعاد وأبنائها نائمين، فجأة استيقظت سعاد من النوم على صوت طرق الباب فاستغربت من أن أحدا أتى إلى بيتها في ذلك الوقت من الليل وسألت في نفسها: ماذا هناك؟ يا ترى من أتى في هذه الساعة من الليل؟

ثم خرجت من غرفتها.

وكان في الباب جمال ويبدو أنه ليس في وعيه وبين يديه قنينة خمر، ففتحت سعاد الباب ثم تفاجأت من رؤية جمال في تلك الوضعية السيئة.

قالت له: يا سيدي جمال، لماذا جئت عندي في هذا الوقت الأخير من الليل؟ وهل أخت رشيدة بخير؟

فقال وهو ضاحك: رشيدة!، لماذا تحدثت عن رشيدة الآن؟ وهي بخير مع أبنائها؟ جئت عندك لكي أسهر واستمتع يا حبيبتي.

(تفاجأت سعاد من كلامه وغضبت منه).

قالت بغضب: كيف تجرأت على قول ذلك لي؟! يا سيدي جمال، هل نسيت اني صديقة زوجتك؟

فقال: قلت لك لا تتحدثي عنها وهي لن تعرف ما سيحدث هنا.

ردت عليه بغضب: ماذا تريد أن يحدث؟ هيا اذهب إلى منزلك قبل أن أجمع من حولك الناس لأني إذا لم تغادر الآن سوف أصرخ.

قال وهو ضاحك: لا داعي لأن تمثلي البراءة لأن الكل أصبح يعرف ما هو عملك الحقيقي، فلا تخشي من اني لن أعطيك ما

تريدين مثل الرجال الآخرين، سوف أعطيك ما تريدين بمقابل أنك تسعديني في هذه الليلة.

لقد حاولت سعاد أن تغلق الباب على جمال ولكنه منعها من فعل ذلك وتجرأ أنه دخل إلى منزلها بالقوة، فحاولت سعاد أن تنادي على الجيران ولكنه أغلق فمها بيده وحتى تجرأ أن يمسك جسمها بيده الأخرى، ظلت تقاومه حتى استطاعت الابتعاد عنه ثم حملت شيئا مثل المزهرية من أجل أن تدافع عن نفسها.

قالت وهي منفعلة وهي تصرخ: لن تقترب مني إذا اقتربت سوف يقتل أحدنا أما أنا أو أنت، يا عالم قد دخل مجرم إلى منزلي بالقوة أرجوكم تعالوا لكي تخرجوه من المنزل.

لقد استيقظ حمزة على صرخة والدته فسأل في نفسه: ماذا يحدث لوالدتي هناك؟

بدأ يقترب من باب غرفته وهو يحبو، فبدأ حوار بين والدته سعاد وبين جمال، هو الآخر مازال يتحدث مع سعاد بكلام دون مستوى.

قال لها: هيا يا حبيبتي، فإني كل دقيقة أرغب كثيرا في الاقتراب منك، هيا قولي لي أية غرفة التي سوف نظل فيها بهذه الليلة.

قالت وهي متوترة جدا: أرجوك يا سيدي أخرج من منزلي.

فرد عليها بكل وقاحة: لن أخرج من منزلك إلا إن آخذت ما أريد.

فخرج حمزة من الغرفة وهو غاضب ويصرخ، رأوه، فقال جمال: قد خرج ابنك ربما بسبب أنه سمعنا، هيا أرجعيه إلى مكانه ثم ارجعي عندي من أجل أن نكمل سهرتنا يا حبيبتي.

فحاول حمزة أن يهاجم جمال ولكنه لم يستطع، وكان حمزة في نفسية صعبة لأنه غاضب كثيرا بسبب جمال وبسبب إعاقته.

(لأن إعاقته تؤثر بشكل كبير على الجهاز العصبي لهذا الأشخاص الذين لديهم إعاقة مثل إعاقة حمزة يكونون دائما متوترون ويفعلون أفعال التي لا يريدون فعلها).

حاول حمزة أن يهاجم جمال في المرة الأخرى ولكن جمال ابتعد عنه بالقوة لدرجة أن سعاد صرخت بأعلى صوت قائلة: ابتعد عن

ابني يا أيها الحيوان، يا عالم.. يا عالم قد دخل المجرم إلى منزلي ويريد أن يفعل شر لنا...

في ذلك الوقت كان يصعد في الدرج معاذ وهو ابن جيران سعاد، فمر من أمام باب منزل سعاد ثم سمع صرختها، ظل يسمع وينظر إلى الباب من أجل أن يعرف ما يحدث في منزل سعاد، فأقترب من الباب.

قالت سعاد: يا أيها الحيوان لن تقترب من سيدك لأن ابني حمزة رجل أفضل منك..

قاطعها قائلا وهو يضحك: من رجل من؟ هل تقصدين ابنك حمزة؟ هو الذي رجل، وهل الإنسان الذي يوجد اللعاب في فمه هو أكثر رجولة مني؟ لا أعتقد ذلك.

قالت سعاد بمتأثرة وغاضبة: يا أيها الحيوان كيف تجرأت على قول ذلك، فإن حمزة أفضل من رجال العالم...

لقد سمع معاذ كل ما قاله جمال ولكن معاذ لم يستطع أن يمرر كلام جمال لأنه جدا قاسي ومجروح، فدخل معاذ إلى منزل سعاد وهو سريع وغاضب، رأوه ثم تفاجأوا ولكن سعاد شعرت بالطمأنينة، كانوا ينظروا إلى بعضهم البعض باستغراب.

(فم حمزة مليء باللعاب هذا هو الآخر من معاناة حمـــزة مـــع إعاقته، سيلان اللعاب سببه الرئيسي هو أن الشخص وخصوصا في وضعية إعاقة لا يستطيع أن يتحكم في حركة عضلة الوجنتين لأنه لم يخضع للترويض في مستوى هذه العضلة بمرحلة الطفولة) ما زالـــوا ينظرون إلى بعضهم البعض.

سأل معاذ جمال: يا عمي جمال لماذا أنت هنا بهذه الوضعية؟

أجابه قائلا: أنا هنا لكي أسهر مع سعاد، وأنت لماذا دخلـــت علينا دون أن تطرق الباب؟

فقالت سعاد وهي غاضبة: لا يا بني معاذ، جمال أنه كاذب ولم نكون نسهر بل هو دخل إلى المنزل ويريد أن يفعل شر بنا، أرجوك يا ابني أن تخرجه من هنا.

وكان جمال في تلك اللحظة بكل الوقاحة ينظر إلى سعاد وهو ضاحك

قال لها معاذ: حسنا يا خالتي سعاد، يا عمي جمـــال ممكـــن أن تخرج معي؟ لأن خالتي سعاد لا تريد أن تبقى في المنزل وحتى حمـــزة يبدو أنه يزعجه وجودك هل ممكن؟

رد عليه وهو ضاحك: لا تصدقها يا معاذ لأنّها تكذب فقط بل هي بالحقيقة تريد أن أبقى هنا، فقط تمثل بأنها برينة، يا حبيبتي سعاد توقفي عن التمثيل، قولي لمعاذ يخرج من منزلك وادخلي ابنك حمزة إلى غرفته من أجل أن نكمل سهرتنا، هيا يا حبيبتي.

قد قام جمال بفعل وقح مع سعاد مما أغضبها هي وأيضا أغضب كل من معاذ وحمزة، صرخ حمزة، وأما معاذ لم يستطع الوقوف أمام هذا الموقف دون أن يفعل شيئا: أبعد معاذ جمال عن سعاد بالقوة فصرخ جمال.

وقال له بأعلى صوت: يا غبي أقترب مني وهل نسيت أني صديق أبوك؟ هيا أخرج من هنا قبل أن أخبرك بفعل الذي فعله مع الناس.

رد عليه: أبي سوف يخجل من صداقتك حينما يعلم أمر هذه الليلة.

استمر جمال في ذلك الوضع ولكن في ذلك الوقت كانت ضحكته الغريبة بعد الكلام الأخير لمعاذ واستمرت وقاحته مع سعاد ولكن قد كثرت وقاحته، لهذا جعل حمزة يصرخ بأعلى صوت ومعاذ، حاول أن يقترب جمال من سعاد في المرة الأخرى ولكن

بالقوة في هذه المرة، ورد فعل لجمال حتى هي كانت قوية لأنه ضرب جمال وبدأوا يتشاجران مع بعضهما، حتى أناس أيضا استيقظوا والكل صار منفعل وسعاد كانت تصرخ بأعلى صوت لدرجة أن الجيران سمعوا صرختها ثم بدأوا في الذهاب إلى منزل سعاد وليس فقط أن جيرانها الذين يسكنوا معها في نفس المبنى بل كل جيران الحارة وكل الذي سمع صرختها أتى، وهم يتسألوا عن؛ ماذا يحدث في منزل سعاد؟ وكان بين الجيران والد معاذ وابن جمال.

قد دخل إلى منزلها كل من والد معاذ وابن جمال وبعض من الجيران فتفاجأوا عندما رأوا وعلموا أن جمال ومعاذ يتشاجران مع بعضهما البعض.

قال ابن جمال باستغراب وبغضب: يا معاذ لماذا تتشاجر مع أبي؟ أبتعد عنه.

وأما والد معاذ قال باستغراب: يا جمال ويا معاذ لماذا تتشاجران في منزل السيدة سعاد؟

اقترب من جمال ومعاذ كل من ابن جمال والجيران لكي يفصلوا بينهما، بالفعل استطاعوا أن يفرقوهما.

فقال أحد الجيران: لماذا تتشاجران؟ يا جمال ما الذي حـــدث لك معاذ؟ ولماذا أنتما في منزل سعاد؟

نظر جمال إليهم ولم يردهم أن يعرفوا حقيقته.

فرد على ذلك الجار: يا أحمد لا أدري ما هي مشـــكلة معـــاذ معي، فقط لم يتحمل وجودي في منزل ســـعاد، لا أدري مـــا هـــو السبب.

سأل أحمد جمال: أولا لماذا أنت في منزل سعاد؟

فأجابه قائلا: بسبب سعاد، بالحقيقة، عندما كنت اصـــعد إلى منزلي التقيت بسعاد عند باب منزلها فهي أغوتني من أجل أن أدخل معها إلى منزلها والحقيقة أني استسلمت لجمالها وقد دخلت معهـــا، عندما كنا مع بعضنا البعض دخل علينا معاذ، لا أعلم كيف دخـــل وما هو سبب قدومه، لقد كره وجودي هنا.

أبتسم جمال إلى معاذ ابتسامة شريرة وأما معاذ كان غاضـــب كثيرا، حتى سعاد وحمزة أيضا كانا غاضبان.

فقالت سعاد بانفعال: إنه كاذب.. كلام جمال ليس صحيحا.. إنه كاذب بل هو دخل إلى منزلي بالقوة ودون أن أوافق، جاء معاذ فقط لكي يساعدنا لأنه سمع صرختي، حسبي الله ونعم الوكيل.

وقال معاذ بغضب: كلام خالتي سعاد صحيح، أتيت لأن هذا الحقير دخل إليهم بالقوة.

فقال ولد جمال لمعاذ غاضبا: تحدث باحترام عن والدي يا أيها الغبي، إذا استمريت في الكذب عليه سوف أضربك.

رد عليه: لم أكذب لأن والدك بالفعل إنسان حقير، إذا تريد أن تضربني حاول.

هجم ولد جمال على معاذ فرد عليه وبدأ الصراع بينهما، وأما حمزة كان في وضعية نفسية صعبة وكان يحاول أن يقول إن كلام والدته سعاد ومعاذ صحيح ولكنه لم يستطع ذلك، فرآه أحد الجيران واقترب منه، كان هذا السيد من الناس الذين لا يعرفون ما هي إعاقة حمزة الحقيقية.

أبتسم في وجهه قائلا: يا ابني حمزة لا تخف لأن معاذ وزكريا فقط يمثلان ويضحكان، لكن ربما يزعجك هذا الأمر حسنا سوف أوقفهم ثم يخرجوا من بيتكم.

هذا السيد كان يهدأ حمزة ولكن بالحقيقة؛ لم يهدأ كلامه حمزة بل أضاف إلى قلبه نار الغضب، حينها أحس حمزة بأن لا أحد يمكنه أن يفهمه، وبالفعل هذه هي الحقيقة لأن في محيطه كل من يفهمه هي والدته وأخيه ولا أحد غيرهما، طبعا هذا ليس ذنب الناس وحمـــزة وحتى ليس ذنب سعاد بل الكل مسؤول من مكانه وخاصة الإعلام والتعليم خاصة عن هذه الفئة.

وبالتالي لم يستطع حمزة أن يبرء والدته من كلام الناس لأنه في أنظار محيطه مثل الرضيع الذي لن يكبر ويبقى على هذا الحـــال إلى الأبد.

صار الصراع بين ابن جمال وبين معاذ خطير لدرجـــة أن ابـــن جمال ضرب معاذ بالسلاح الأبيض الذي كان يخفيه داخل ملابسه، في تلك اللحظة جاءت كل من والدة معاذ وزوجة جمال ورأوا ذلك المشهد الخطير والقاسي على كل أم.

قالوا في لحظة واحدة: يا ابني يا إبني.. يا ابني معاذ.. يا ابـــني صلاح.

لم تكونا تعرفان ماذا سيحدث لأبنائهن.

بعد مرور ساعة كانت الشرطة تقبض على ولد جمال ورجال القوة المدنية حملوا معاذ ثم خرجوا من منزل سعاد، أما جمال ظل هناك وهو سالم، لم يحدث له ولو شيء، مازالت سعاد في محاولة أن تبرء نفسها ولكن للأسف الشديد ضاعفت هذه الليلة كره الجيران لسعاد وكل واحد حاولت سعاد التحدث معه لم يرد عليها، فخرجوا من منزلها عيونهم مليئة بكره سعاد. خرجت سعاد أمام الباب ونظرت إلى الدرج وكان وضعها النفسي جد صعب لأنّها عانت من ظلم كبير في هذه الليلة وربما لو كانت مضروبة بالسلاح كان أفضل من كل ما حدث لها في هذه الليلة. دخلت إلى منزلها وأغلقت الباب. ثم جلست على الأرض بجانب الباب. كانت تبكي كثيرا وأما حمزة كان يراقبها عن بعد ووضعيته النفسية مازالت صعبة.

قال في داخله: أيضا لم استطع أن أدافع عن نفسي وعن أهلي، هل الإنسان الذي لم يستطع أن يدافع عن عائلته يستحق العيش؟ وهل هو رجل؟ لا أعتقد ذلك.

ثم دخل إلى غرفته فسمعته سعاد يصرخ وكان غاضبا بشدة، هذا أضاف إلى سعاد حزنا آخر. بعد بضع دقائق سمعت سعاد الجيران يتحدثوا عنها في الخارج.

بالفعل كان الجيران يتحدثوا عنها بالسوء والكل كان غاضب من سعاد.

قالت رشيدة زوجة جمال وهي غاضبة جدا: يا أيتها النساء أصبح زواجكن في خطر، يا أيتها النساء أصبحت بيوتكن في خطر بسبب السيدة التي كنتن تعاملونها كأنها أختكم، وهي بالحقيقة تريد أن تقضي على عائلاتكن، هذه الحقيرة لا يجب أن تبقى معنا في الحارة.

ردت عليها إحدى الجارات: أنت محقة يا أُختي رشيدة، علينا أن نخرج هذه الحقيرة من حارتنا من أجل بيوتنا وخاصة من أجل ألا تتأثر بها فتياتنا.

فقال أحد الرجال: يا جماعة، النساء لديهن حق فيما قلنه: يجب أن نرمي الحقيرة خارج حارتنا قبل أن تتلوث هنا بقذارتها.

سعاد سمعت كل ما قد قالوه فجرحها في قلبها ولكنها صمتت وأخفت جراحها داخلها. حتى حمزة سمعهم ولكن لم يستطع أن يصمت فرجع إلى مكان سعاد وحاول أن يقترب من النافذة لكي يرى الجيران ويقول أن أمه بريئة مما يقولونه رغم أنه لا يستطيع التحدث ولكنه لم يستطع أن يبقى صامتا، لكن سعاد منعته من النظر

من النافذة فصرخ بأعلى صوته وكان يحاول أن يبتعد عنها وهـــي لم تسمح له بالاقتراب من النافذة. مازال كلام الناس يجرحهم مثـــل السكين، وفي لحظة غضب كبيرة لحمزة، زاد أيضا غضـــب ســـعاد فصرخت: كفى يا حمزة.

ثم رأت الجيران من النافذة وحتى هم رأوها.

قالوا لبعضهم: لقد خرجت الحقيرة، كيف تجرأت على النظـــر إلينا بعد كل الذي فعلته في هذه الليلة؟

صرخت سعاد غاضبة: يا جماعة ماذا فعلت لكي تتحدثوا عني بالسوء؟ وهل وجدتموني مع المجرم جمال في غرفة النـــوم؟ حـــرام عليكم لأنكم كنتم تتحدثوا عني وتعرفوا اني اسمع. ليس مشكلة أنا ولكن ألم تفكروا في أبنائي وخاصة ابني مريض (حمزة)؟ هل فكـــرتم كيف يكون شعوره وهو يسمع الجيران يهينون أمه؟

ردت عليها رشيدة بغضب: يا حقيرة فكرت بأبنائك ولكن لم تفكري بابني صلاح؟ الله سينتقم منك.

فقالت فاطمة بكل وقاحة: يا أُختي رشيدة لا داعي لأن تتعبي نفسك مع هذه الحقيرة، يا أيتها الحقيرة اقتربي من النافذة قبـــل أن

تصعد النساء إلى منزلك لكي ينتقموا منك عن كل الذي فعلته في هذه الليلة.

تراجعت سعاد من النافذة ليس بسبب أنها خافت على نفسها بل خافت على أبناءها ولم ترد أن يحدث لهما شرا، مازال حمزة متعصبا ومازال يريد أن يقترب من النافذة لكي يسمعوا صوته الجيران على الرغم أنه لا يستطيع التحدث ولكنه كان يريد أن يعبر بأي طريقة بانه ضد كلام الجيران وان والدته بريئة، فحضنته سعاد بقوة وبدأت في البكاء بشدة لأنّها شعرت بالظلم في هذه الليلة لأنّها تلقت ظلما كبيرا قاسيا جدا لم يسبق لها أن أحست به من قبل، تلقته من أناس كانت تظنهم بأنهم جزء كبير من عائلتها ولن يتركوها في منتصف الطريق أبدًا ولكن صدمتها حقيقتهم في هذه الليلة. ليست وحدها من شعرت بهذا الظلم بل ابنها حمزة وابنها أناس أحسوا به كذلك.

بل ليس هناك من أحس بالظلم أكثر من سعاد أو عاشه كما عاشته هي في تلك الليلة. أن الظلم موجود منذ وجد الإنسان على الأرض قبل مئات السنوات، يظلم الإنسان أخيه الإنسان غير أنه دائما هناك من يدافع عن الحق والحق موجود، لأسباب عديدة أهمها الأنانية الموجودة عند الإنسان وأيضا الجهل، بعض الأحيان يظلم

الإنسان حبيبه من أجل أن يبقى معه وألا يذهب ويتركه، بعض الأحيان أيضا الإنسان يظلم نفسه من أجل مصلحة عائلته، باختصار إن الظلم موجود في العالم كله وخاصة في منطقتنا العربية، وأيضا يوجد العديد من الناس يستمعوا للظالمين ويروا آخرين مظلومين ولا يتدخلوا لمحاربته. كما كان السبب في تعاسة سعاد وأبناؤها في الأخير هو الظلم، يجب أن نحاربه في العالم كله.

منذ تلك الليلة أصبح منزل سعاد مثل النار بسبب أعمال الناس القاسية وبعض الأحيان حتى العنيفة عليها وعلى أبنائها، أصبح العيش في الحارة صعبا، أحس أناس بهذه القسوة لأنه قد تغيرت العلاقة بينه وبين أصدقائه وكل مرة يذهب عندهم كانوا يتجنبوا التحدث معه وحتى لا يسمحوا له أن يلعب معهم كرة القدم وبعض الأحيان كانوا يهينوه ويهينوا والدته سعاد ولكنه لم يرد عليهم ولو بكلمة واحدة لأنه يعرف أن والدته بريئة.

هذا ليس كافيا: أراد القدر أن يمتحن صبر سعاد من جديد لأن ذات الليلة كانت سعاد تريد أن تذهب إلى غرفتها لكي تنام فجأة سمعت طرق الباب وقالت " من بالباب؟ " ولكن لا أحد يرد عليها فاقتربت من الباب وفتحته، وجدت عند الباب بعض النساء ويظهر على وجوههن الشر.

قالت لهن: من أنتن؟ ولماذا جئتن إلى منزلي؟

سألتها إحداهن: هل أنتِ السيدة سعاد؟

أجابتها: نعم هي أنا.

فقالت: هيا يا نساء اهجموا.

هاجمت النساء سعاد وكن يضربنها بشدة

وهي تسألهن وهي منفعلة: ماذا فعلت لكن؟ مـــاذا؟ ابتعـــدوا عني، أبنائي في المنزل.

فقلن لها: هذا العقاب الذي تستحقه المرأة التي تنظر إلى أزواج النساء الأخريات، وأنتِ تستحقين هذا العقاب لأنك نظـــرت إلى أزواج سيداتك، إذا نظرتِ إلى أزواج سيداتك مرة أخرى عـــرفتي الآن ماذا سيحدث لك.

استمروا في الهجوم عليها حتى ظهرت عليها الجروح وكانـــت حالة سعاد سيئة.

وهي كانت تقول لهن: ابتعدن عني، صدقني أنا بريئة من هذا.

فجأة دخلت امرأة إلى منزل سعاد فرأتها النساء فتوقفن عن الهجوم على سعاد. يبدو أن المرأة هي التي أرسلت النساء إلى سعاد، واقتربت من سعاد ورأتها فتفاجأت من رؤيتها، كان جسد سعاد مليء بالجروح.

قالت المرأة لسعاد: هذا عقابي لك لأنك حاولت أن تأخذي مني زوجي.

وقالت للنساء: يا نساء ما شاء الله عليكن عملكن جيد، فعلتن بها كما أريد، هيا بنا لنخرج قبل أن يخرج أحد أبنائها من الغرفة.

المرأة هي زوجة خالد، خرجت النساء من المنزل وزوجة خالد كانت تنظر إلى سعاد بابتسامة شريرة أثناء خروجها من المنزل.

كانت وضعية سعاد سيئة جدا وكان جسدها كله مليء بالجروح، خرج أناس من الغرفة لكي يشرب الماء ورأى سعاد على الأرض مليئة بالخروج ثم ذهب عندها بسرعة وهو يقول * يا أمي يا أمي ماذا حدث لك يا أمي يا أمي *

ردت عليه بابتسامة: يا بني لا تخف فقط سقطت على الأرض، لا تخف، أنا بخير.

فسمع حمزة صرخة أناس ثم خرج عندهم، حينما رأى والدته صرخ وأقترب منها ورأته.

قالت: يا بني حمزة لا تخف أنا بخير، يا أناس لم يكن يجب أن تصرخ من أجل ألا يستيقظ أخيك حمزة.

رد عليها أناس: خفت عليك عندما رأيتك في هذه الوضعية صرخت بدون شعور.

قالت: ليس مشكلا يا عزيزي، ارجعا إلى النوم ولكن قبل أن ترجعا أريد أن آخذ رأيكما في شيء، ما رأيكما لو نرحل إلى المدينة الأخرى لأن هذه المدينة لم تعد صالحة لنا للعيش فيها وأصبحنا نعيش فيها مثل الحشرات.

أجابها أناس: نعم يا أمي كما تريدين.

شعرت سعاد بأن حمزة أعجبته الفكرة وفرح بها كثيرا.

بالفعل بدأت سعاد وأبناؤها في الاستعداد للرحيل إلى المدينة الأخرى، وضعت منزلها للبيع، وهذا المنزل هي فيه حوالي ثمانية وعشرون سنة، وفيه كانت تعيش مع المرحوم زوجها بأمان وسعادة، فيه أنجبت أبنائها حمزة وأناس، لكن في الأخير ستبيعه من أجل

الابتعاد عن المشاكل ومن أجل أن تحصل على السلام وعلى الراحة النفسية. بعد عدة أيام أخيرا جاء المشتري إلى منزلها فأعطاها الثمن الذي لا يستحقه المنزل ولكنها قد وافقت عليه لأنّها كانت تريد أن ترحل في أقرب فرصة ممكنة، فتم البيع بنجاح.

في ذات صباح خرج كل من سعاد وحمزة (على الكرسي المتحرك) وأناس من المنزل، يبدو أنهم سيرحلون من الحارة والجيران كانوا يراقبونهم، بعض منهم كان يضحك من جهة ومن جهة الأخرى مازالت لديه الرحمة في قلبه كان يتساءل؛ أين سيذهبون؟ وأيضا البعض الآخر كانت مشاعرهم متضاربة مع بعضها بين الكره وبين الشفقة، لقد مشيت سعاد وأبناؤها لمسافة قصيرة فالتقوا بفاطمة، لقد تفاجأت فاطمة، لم ترغب سعاد في التحدث معها وأكملت طريقها

مع أبنائها ولكن في منتصف الطريق رجعت عندها، تحدثت فاطمة كأن شيئا لم يكن.

قالت وهي مبتسمة: يا أُختي سعاد أين ستذهبون؟ يبدو أنكم سترحلون من الحي، إلى أين؟

ردت عليها بغضب: بل سوف نغادر من هذه المدينة كلها كما تريدين أنت، قد علمت حقيقتك وعلمت إنك التي فعلت لي هذه المشاكل كلها مع الجيران وأيضا في العمل، لا أدري ما هو السبب، ما هو السبب؟ ماذا فعلت لك لكي استحق منك هذا الظلم كله؟ لست أنا فقط بل أبنائي أيضا احسوا به؟ ماذا...ماذا؟

(لقد تغير وجه فاطمة من الوجه البريء إلى الوجه الشرير) قالت فاطمة وهي ضاحكة وظهر عليها الغضب: تتساءلين ما هو السبب، نعم تستحقين هذا الظلم كله بل إنه انتقامي منك لأنك في الماضي سرقت مني الرجل الذي كنت أحبه، هل مازالت تتذكرين بأن المرحوم حسن كان هو وعائلته يريد أن يتزوجني ولكن فعلت له شيئا فتزوجك أنت في الأخير، سحرت له من أجل أن يتزوجك أنت، لهذا أنا أكرهك هذا الكره كله.

ردت عليها وهي غاضبة: هل هذا هو السبب؟. هل من أجل هذا السبب التافه فعلت لي كل هذه المشاكل لي أنا ولأبنائي أيضا؟ كلا يا فاطمة لم يود في أي يوم أن يتزوجك بل في الحقيقة انه كان يحبني كثيرا وانا أيضا كنت أحبه لهذا تزوجنا، وبالنسبة إلى فكرة انه يتزوجك كانت لدى عائلته فقط ولم تكن لديه. لن أضع يدي في يد الشيطان ولن أفعل شيئا مما يغضب مني إلهي من أجل مصلحتي الشخصية الدنيوية، بالحقيقة انك إنسانة أنانية ومع الأسف لم أعرف حقيقتك إلا الآن، وداعا.

كانت تراقب سعاد خالتها السعدية وكان يظهر عليها الأثر ولكنها لم تستطع الاقتراب منها، رجعت سعاد عند حمزة وأناس ثم أكملوا طريقهم. خرجت سعاد وأبناؤها من الحارة التي طوال عمرهم وهم يعيشوا فيها وابتعدوا عن أحبابهم بسبب حكم الجيران القاسي على سعاد. فلنتحدث بشكل عام أن السبب الرئيسي هو حكم مسبق ونظرة المجتمع من ناحية للمرأة الأرملة أو المطلقة، ومازال ذلك الحكم حتى يومنا هذا على الرغم من أن المجتمع قد تغير.

بعد مرور ثلاث ساعات، كانت إحدى الحافلات تسير من مدينة الدار البيضاء إلى مدينة طنجة، وكان من بين الراكبين سعاد

وحمزة وأناس، وحدهم في تلك الحافلة كان يظهر عليهم الحزن. كانت سعاد تفكر كأنها لا توجد في الحافلة وكانت تبدو قلقة، أما حمزة كان في وضعية نفسية صعبة كأنه ينتظر كلمة واحدة لكي ينفجر غاضبا.

قالت سعاد تحدث نفسها: يا إلهي هذه الطريق إلى أين ستوصلنا؟ ماذا سيحدث لنا في هذا المصير المجهول الذي نذهب إليه أنا وأبنائي؟ يا إلهي افتح لنا أبواب الخير، لا يبقى لدينا احد في هذه الدنيا إلاك يا إلهي، جميع أحبابنا تخلوا عنا، أما عائلة زوجي في الأصل قد قطعت علاقتنا بهم منذ وفاة زوجي، على الرغم أنهم علموا أننا لدينا مشاكل ويسكنون ليس بعيدا عن منزلنا لم يأتوا، إذا صدقوا الأكاذيب التي راجت حولي على الأقل كان يجب عليهم أن يطمئنوا على أبناء ابنهم هل هم بخير، كأن حمزة وأناس ليسوا أبناء ابنهم.

وأما حمزة قال في داخله وعيناه مليئة بالدموع: أنا بالحقيقة لست رجلا، بل أنا يجب أن أبقى رضيعا، هل يعد رجلا من لا يستطيع أن يدافع عن شرفه شرف عائلته؟ هل يعد رجلا من مازالت أمه تجلب له الطعام؟ لا داعي لأن أقول أكثر عن معاناة والدتي معي، يا إلهي لا أرفض ما كتبت لي في هذه الدنيا بل أنا

راض بقدري بأن أكون معاقا ولكن، ولكن هذا الرضيع لازم يصبح رجلا، نعم يجب أن أصبح رجلا من أجل مستقبلي وأيضا من أجل والدتي، يا إلهي أرجوك تساعدني في أن أجد الطريقة التي تمكنني من أن أحمل جزءا صغيرا من المسؤولية التي تحملها والدتي، وأكيد لا استطيع أن أحمل مسؤولية كلها ولكن.. أرجوك يا إلهي أن تساعدني أرجوك.

فنظر حمزة من نافذة الحافلة، أكملت الحافلة طريقها إلى مدينة طنجة، وماذا سيحدث لهم في مدينة طنجة؟

بعدما وصلوا إلى مدينة طنجة سعاد وابنيها، حمزة وأناس، تاهوا وليس لديهم أحد في هذه المدينة إلا الله تعالى، فقد مشوا لوقت طويل.. لوقت طويل حتى تعبوا ولم يستعطوا الحركة، فوقفوا عند أقرب مطعم.

قال أناس وهو تعب: يا أمي هيا بنا لكي نأكل شيئا في هذا المطعم لأننا سوف نموت جوعا.

ردت عليه سعاد: صح يا حبيبي أناس يجب أن نأكل ولكن أولا يجب أن نجد شقة للإيجار أو فندق يكون ثمنه مناسب لكي ننام فيه هذه الليلة لأن الليل قريبا سيحل.

كانت هناك قربهم سيدة اسمها نوال ويبدو أنها أشفقت على حالهم. أرادت سعاد وأبناؤها المغادرة فأوقفتهم.

قائلة: انتظروا يا سيدتي، هل يمكننا التحدث قليلا؟

ردت عليها سعاد: نعم يا أُختي الكريمة يمكننا أن نتحدث، تفضلي وعن ماذا سنتحدث؟!.

قالت لها: أريد أن أسألكم يا سيدتي هل أنتم ليستم من هذه المدينة؟ لأنه يبدو أنكم غرباء عن المدينة، من أين أتيتم؟ وهل أتيتم إلى مدينة طنجة من أجل السياحة؟ أو من أجل ماذا؟

أجابتها قائلة والدموع لا تفارق عينيها: أجل يا سيدتي، أجل نحن غرباء عن المدينة بل نحن من مدينة الدار البيضاء، لكن يا سيدتي يا ريت لو أتينا إلى هنا من اجل السياحة فقط بل لقد أتينا من مدينتنا بعد أن أحبابنا تخلوا عنا بسبب نظرة المجتمع للمرأة التي ليس معها رجل، لا أريد أن أزعجك بقصتي لأنّها طويلة ومليئة بالجروح، يا سيدتي ممكن أن تساعدنا في البحث عن فندق يكون ثمنه مناسب.

فقالت لها: لا يا أُختي لا تقولي فندق لأنكم سوف تكونوا ضيوفنا في بيتنا، أعيش مع أمي وأبي فقط ولدي طفلة صغيرة، وأنا اسمي نوال، تناديني ب نوال فقط.

ردت عليها: لا يا أُختي نوال لا داعي لأن تزعجي نفسك وأهلك، فقط يمكنك أن تساعدنا في العثور على الفندق.

قاطعتها قائلة: لا أريد أن أسمع "ولكن" هذا القرار انه نهائي يا أُختي.. ألا تريدوا أن تشرفوني بأسمائكم؟

ردت عليها وهي مبتسمة قليلا: شكرا جزيلا لك يا أُختي نوال، لن أنسى خيرك هذا، أنا اسمي سعاد وهذا ابني اسمه حمزة وأما الآخر اسمه أناس.

قالت نوال: تشرفنا يا أُختي سعاد، إذن اتركونا نتناول شيئا في هذا المطعم قبل أن نذهب إلى بيت عائلتي لأنه يبدو أنكم لمدة طويلة لم تتناولوا شيئا.

ردت عليها سعاد: حسنا يا أُختي سعاد، شكرا جزيلا.

بالفعل دخلوا إلى المطعم وطلبوا طعام، لكن قبل أن يصل الطعام إلى مائدتهم ذهبت نوال إلى مكان لكي تخبر أهلها بأمر سعاد.

وبعد مدة ثلاثين دقيقة رجعت عندهم ولكن وجهها تغير نوعا مـــا، ووجدهم بدأوا في الآكل فرأها سعاد.

قالت سعاد لنوال: أهلا يا أُختي نوال، هل لديك أي مشكل؟ نعتذر عن أننا بدأنا لأن أبنائي لم يستطيعوا أن يصبروا.

رجعت نوال إلى طبيعتها، فردت على سعاد: يا أُخـــتي لـــيس لدي مشكل، شكرا لك لأنك فكـــرت بي، لا داعـــي للاعتـــذار وبالحقيقة لا أشعر بالجوع وفقط سوف أشارككم الطعام.

جلست نوال إلى المائدة كي تتناول قليلا من الطعام من أجـــل أن تتشارك معهم الطعام، وبعد أن انتهوا من الأكل وجاء عنـــدهم النادل أرادت نوال أن تدفع ما عليهم ولكن سعاد رفضت، وبعـــد وقت طويل من التحدث وافقت سعاد على أن نوال تـــدفع ثمـــن الطعام، ولكن حمزة كان غير راضي عن أن تدفع ما عليهم وحـــتى غير رضي أيضا عن فكرة الذهاب مع نوال إلى منزلها وسعاد كانت تحس بهذا الأمر وهي أيضا كانت غير راضية عن تلك الفكرة ولكن لا تستطيع أن ترفضها، على حالته يبدو أنه ليس مرتاحا ومتعصب، هذا الأمر يرجع إلى إعاقته يعني أن هذا من اضـــطرابات الإعاقـــة ولكن ليست هي السبب فقط لأنه يمكن أن نتجنب هذا الاضطراب بتوفير المحيط السليم والإدماج داخل المجتمع، ممـــا جعـــل نـــوال

أشفقت على حمزة كثيرا لدرجة أنها شعرت بالبكاء ولكن لم تستطع فعل ذلك أمامهم بل كانت تبكي في داخلها، كان حمزة في حاجة للذهاب إلى الحمام فنظر إلى والدته سعاد ثم عرفت انه يريد ذهاب إلى الحمام وقالت له: اقترب من باب الحمام وأنا سوف آتي عندك.

حرك حمزة كرسيه المتحرك باستخدام أقدامه فرأته نوال، وقالت لسعاد: انظري إلى ابنك لأنه يتحرك بالكرسي المتحرك.

ردت عليها: نعم ولكن لا تخافي، هو يريد أن يذهب إلى الحمام وأنا سوف أذهب عنده.

عندما وصل حمزة إلى باب الحمام التقى بامرأة، كانت تقدم النقود إلى متسول فرأت حمزة ثم فكرت بأنه هو أيضا متسول، ثم اقتربت منه وقدمت إليه النقود، مما أغضب حمزة وحاول أن يقول لها أنه ليس متسولا ولكنه لا يستطع، شعرت المرأة بأنه يوجد شيء يزعجه، فجاءت سعاد وقالت لتلك المرأة: انتظري قليلا يا سيدتي، إنه ابني.

ردت عليها: اعتذر يا سيدتي، فكرت بأنه..

فقالت سعاد: لا، لا، أنه يريد أن يدخل إلى الحمام فقط.

اقتربت منهما، واعتذرت المرأة من سعاد ثم ذهبت دون أن تعتذر من حمزة أيضا ودون أن تقول له ولو كلمة واحدة ثم أدخلت سعاد حمزة إلى الحمام، صحيح أن تلك المرأة أهانت حمزة عندما قدمت إليه النقود ولكن لقد أهانته كثيرا بطريقة اعتذارها لأنّها تصرفت كأنه مازال طفلا.

بعد مرور أربع ساعات، أتى كل من سعاد وابنيها برفقة نوال إلى بيت عائلة الأخرى، عيون نوال مليئة بالفرح والسرور، دخلوا إلى بيتها وهي ترحب بهم، قبل أن يدخل أناس إلى البيت ذهب إلى مكان ما.

قالت نوال لسعاد بالفرح والسرور: ألف مرحبا بكم يا أُختي سعاد عندنا، إلى أين ذهب ابنك؟ أخشى من أنه لن يعرف طريق العودة إلى المنزل.

ردت عليها بالابتسامة: لا تخافي لأنه سوف يعرف أكيد، ترحب بك الجنة، شكرا جزيلا يا أُختي نوال.

كانت عيون نوال المليئة بالفرح والسرور كأن سعاد هي أختها حقا وقد أتت عندها بعد مدة طويلة من الفراق. لقد جاء كل من محمد وصفية وغيثة عندهم، محمد وصفية هم والدي نوال وأما غيثة

فهي ابنتها. حتى محمد كان فرحا بقدوم سعاد وابنيها ولكن صفية وغيثة لديهم نظرات غريبة كأنهما لم تحبا قدومهم وكان، ذلك بالفعل، فجاء أناس وبين يديه أكياسا من الحلويات والحليب وأشياء ا خرى، وقد رأوه.

قالت نوال: يا ابني أناس لماذا جلبت هذه الأشياء؟ يا سعاد إذن أرسلت أناس إلى المتجر، يا لك من إنسانة أنانية.

ردت عليها سعاد بالابتسامة: كان يجب أن ندخل حاملين شيئا ما، نريد أن نشكركم على أنكم استقبلتمونا في بيتكم.

فقال محمد وهو مبتسم: يا ابنتي أرجوك لا تقولي هكذا لأننا أسعدنا باستقبالكم وانا أسعدت كثيرا برؤية هذا الولد.

فأقترب من حمزة ثم حضنه، فشكرت سعاد محمد وفرحت ونوال أيضا فرحت وكذلك حمزة فرح. حينما كانت صفية تتحدث مع غيثة بعيدا ويبدو أنهما غير راضيتين..

قالت لها: يا ابنتي أرى جدك كيف يتصرف كأنه جاء عنده العزيز، يا له من إنسان غبي وطيب، هو وابنته.

ردت عليها: نعم يا جدتي، لماذا أمي جلبتهم؟

وقالت: والدتك تفعل ما تريد وتعمل حسب مشاعرها، جيد انك لست مثلها، هيا بنا لكي نرحب بهم.

بالفعل اقتربتا منهم لكي ترحبان بهم ولكن هذا الترحيب لم يكن من قلبهما فقد أحست سعاد بهذا الأمر وأما نظرات حمزة الى غيثة فتقول أنها أعجبته، بمقابل ذلك فقد احتقرته وعاملته كرضيع مثل ما يفعله بعض الناس، وعلى الرغم من نظرات غيثة وصفية فقد مر اليوم بسعادة وحب وقد شعر كل من سعاد وابنيها بأنهم أتوا عند عائلتهم لأن هؤلاء الناس قد استقبلوهم بالحب وبالفرح. وهذا ما كان يجب على العديد من الناس القيام به ولكن كما يقال* فيها الخير* فقد حصلت سعاد على الأخت وعلى الأب الروحي.

في الليل كانت سعاد تتحدث مع نوال وصفية عن سبب قدومها هي وأبناؤها إلى مدينة طنجة، لقد تأثرت نوال بقصة سعاد لأنّها ذكرها بجرح في أعماق قلبها وطبعا سببه ظلم الناس لبعضهم البعض.

ردت نوال على سعاد والحزن باد في صوتها: يا أُختي سعاد الحمد لله، الظلم الذي أحسست به أكبر من الذي أحسست به أنا.

فسألت سعاد: ماذا حدث لك؟ يا أُختي نوال.

أجابتها قائلة: تسأل عن ماذا حدث لي يا أُختي، فأنا التي هذه الحياة رمتها في البئر العميق والمظلم، وأنا هي الإنسانة التي تخلى عنها الذي كان حبيبها وزوجها بسبب المرض الذي هو من عند الله تعالى، يا أُختي سعاد فقدت ثدي بسبب سرطان الثدي، لهذا تخلى عني زوجي عني وعن ابنتنا في أصعب الضرورة، نعم فقدت جزء كبير من جمالي وأنوثتي ولكن لم يكن عليه أن يتخلى عنا بتلك الطريقة وخاصة في ذلك الوقت، كأني سبب اني أصبحت امرأة غير كاملة.

فقاطعتها قائلة: لا لا يا أُختي، لم أعرف ماذا يجب أن أقوله لك، لكن أريد أن أقول لك هو؛ انك مازلت امرأة جميلة وأما المرض هو من عند الله تعالى ويجب أن نقبله..

فجاءت غيثة وهي غاضبة وتنادي أمه نوال.

ردت عليها نوال: نعم، أنا هنا، ماذا في الأمر؟

قالت غثية: ماذا سنعطيهم من الاكفة؟ يا أمي أخشى من ذلك المعاق انه يفعل شيئا في الليل.

فقالت سعاد وهي غاضبة: يا ابنتي ليس مهم أن ماذا تعطيكم من الاكفة، يمكنني أن أنام بدون اللحاف، وابني حمزة ينام بسلام

إلى الصباح على الرغم من وضعيته، لا داعي للخوف منه أن يوسخ ملابسكم يا ابنتي.

لقد غضبت نوال وقالت لغثية: يا غيثة كيف تجرأت على قول ذلك، هيا اعتذري من خالتك سعاد.

فقالت سعاد: لا داعي للاعتذار يا أُختي نوال، لا أغضب منها لأنّها مازالت صغيرة، لو سمحت لي سأذهب عند أبنائي.

كان حمزة في الغرفة المقابلة وقد سمع كلام غثية عنه فتأثر بـــه كثيرا، هذا الكلام كمل ما يبقى من فعل تلـــك المـــرأة في المطعـــم بالصباح، كان لديه إحساس عن غثيـــة ولكـــن أكـــد أن ذلـــك الإحساس مستحيل، فجاءت سعاد عنده وعرفت انه سمع الكـــل، وكانت تتمنى أن لم يكن يسمع ذلك الكلام، ولكن.

قالت له: يا بني هيا لكي اذهب بك إلى الحمام، يجب أن ننـــام لكي نستيقظ باكرا من أجل البحث عن الشقة للإيجار.

في ذلك الوقت كانت نوال تتحدث إلى ابنتها غيثة بالغضـــب وبرفقة صفية.

قالت نوال: يا ابنتي كيف تجرأت في قول ذلك للسيدة؟ وهل أنا تربتك كي لا تحترمي الناس وخاص إلى الناس الكبيرين منك؟ إذا لم تعتذر من...

فقالت صفية بالأنانية: يا ابنتي نوال لماذا تتحدثين مع غثية؟ بالحقيقة من حق غثية أن تتحدث لان في الأخير ستكون مهمة التنظيف عليها بعد أن يذهبوا، أنتِ لماذا أتيت بهم إلى بيتنا؟ وهل هذا البيت..

قطعتها نوال قائلة: اعتذر يا أمي ولكن ممكن أن لن تقطعني عندما أتحدث مع ابنتي غثية؟ لا أريد أن أعيد كلامي معك يا غثية، اعتذر من خالتك سعاد غدا بالصباح أو سأفعل الشيء الذي أكيد لن يعجبك، لديك اختيار.

قد غادرت غثية وهي غاضبة من كلام والدتها معها، وأما صفية كانت تنظر إلى نوال وهي أيضا غاضبة ولكن لم تستطع أن تقول لها الشيء.

عندما كانت سعاد تتدخل حمزة إلى الحمام فمرت من خلفهما غثية ونظرت إليهما بنظرة الحقارة وبنظرة الغضب، لم تراها سعاد ولكن حمزة قد رآها، فغضب بأنها راقها على تلك الوضعية.

وقال في نفسه وهو يحترق داخليا: هل تكذب على نفسك؟ يا حمزة، هل فكرت بممكن أن يكون الشيء بيني وبين غنية؟ كم أنك غبي ومين يمكنها أن تقبل أن تكون معك وأنت مازالت أمك تلبي أبسط احتياجاتك مثل هذا، الذهاب إلى الحمام؟ هل أنا فقط في حاجة للتفكير بالعلاقات الغرامية؟ كلا، يجب عليك يا حمزة أن تفكر بكيف تحمل المسؤولية أقل قليل من عند أمك مسكينة، هذا هو أهم من الكل.

قد تدخلت سعاد حمزة إلى الحمام، ولكن وجدت معه إحدى الصعوبة لأنه حاول أن يدخل إلى الحمام حيث أنه أصبح شابا ولم يجب على والدته أن تدخله إلى الحمام مثل الرضيع، هذا الموضوع ليس الآن بل منذ أن حمزة بلغ هو وسعاد يعانان منه، حمزة كان يحس بأنه ليس رجلا لأن مازالت والدته تلبي له الاحتياجات الشخصية التي يجب أن يلبي لها بنفسه ولكن بسبب الإعاقة لا يستطيع ذلك، كانت حالته النفسية في أول المراهقة بسبب هذا الموضوع صعبة أما سعاد كانت حالتها النفسية صعبة كثرا لأن الحياة رمت أمامها المشاكل والعقبات العديدة، العديدة التي مستحيل المرور منها بالسهولة، يجب الإشارة إلى أن برفقة المعاناة النفسية كانت المعاناة الجسدية أيضا، تحمل سعاد حمزة حتى الآن على الرغم أن عمره ثلاث وعشرين سنة وان أصبح رجلا، هذا

الأمر يتأثر شكل سيء في صحة سعاد، هذا الموضوع الآخـــر لازم يكون الوقت الطويل للتحدث عنه....

مع الوقت حمزة لم ينس الأمر وفقط حاول أن يقبل قدره مـــن أجل سعاد ومن أجل... إذا سعاد لم تلبي له تلك الاحتياجات يكون جسده المليء بالحشرات الصغيرة والناس لا يســـتطيعوا الاقتـــراب منه، الحمد لله أن حمزة معه والدته سعاد لأنّها تهتم بتنظيفه رغم هذه الصعوبات من أجل أن يكون جميلا أمام الآخرين، لكن هذه الليلـــة عندما رأه غنية قد عادت شغلت تلك الشمعة، عادت شغلت تلك الشمعة التي نورها أسود وليس أبيض ويـــؤذي العيـــون ويتعـــب القلوب، حين يقول القدر للحياة: يا أيتها الحياة لـــديك القواعـــد للعيش، أنتِ فيك مستويات مثل الدراسة، المستوى الأول يكـــون الإنسان مازال رضيعا ويجب على الآباء وخاص إلى الأم أن تعطيـــه حنانها وحبها من أجل أن تكمل عملية النمو بنجاح جسدي ونفسي عبر عديد من المراحل ولعلها مرحلة الرضاعة الطبيعية وهي ضرورة أن تكمل... وهناك مرحلة المراهقة التي صعب المرور منها بســـلامة والإنسان من خلالها غير تماما، كما يقول المثل الشـــعبي المغـــربي * الولد يحس بجانبه * والإنسان عرف جنس الآخر.. إلى الأخـــير وإلى أن تعود الروح إلى ملكها، ولكن أنا متحكم.. أنا الذي بيـــده أن الإنسان كيف تكون في الصورة التي أريدها، بعض الأحيان حـــرم

الإنسان من أمه وهو في أول اليوم من عمره بعديد من الأسباب منها طبيعية وأيضا بشرية، بعض الأحيان الأخرى ولد الإنسان وهو يتحمل إعاقة ومكتوب عليه أنه يعيش بها إلى الأبد.

هذا حوار بين الحياة والقدر بل قانون الكون ويجب علينا أن نكون راضيين عنه لأن من الإيمان بالله: إيمان بالقضاء والقدر شره وخيره ولكن، نعم يجب أن نرضى قدرنا ولكن لا يجب أن نكتب بعض الإضافات إلى القدر لكي تكون الحياة صعبة جدا أمامنا أو أمام الآخرين كما فعلناه في الواقع معش للأسف الشديد، لا لا بل يجب أن نغير هذه النظرة مثل: أي إنسان لديه عجل لا يعني أن هو لا لديه أمل لكي يكون شيء لا.. لا بل يجب أن نغير هذه النظرة التي لدينا فقط، نحن العرب، هذا كل ما يسعى إليه حمزة رغم أن هذا صعب في ظل نظرة المجتمع للشخص في وضعية إعاقة.

النوم لم يكن يريد أن يأتي إلى حمزة وسعاد وكل واحد منهما يفكر في الجهة الأخرى، سعاد كانت تفكر ب: كيف تجد عمل في هذه المدينة وأولا كيف تجد المنزل لكي يعيشوا بالكرامة هي وأبناؤها، وأما حمزة كان يفكر ب: كيف يستطيع أن يتحدى المجتمع ويقول له: إني لست مجرد معاق ويجب عليه أن يبقى عال

على أهله، ولكن السؤال كان يجمعهما هو: ماذا سيحدث لنا في هذه المدينة؟

قد مرت ذلك الليلة بالصعوب، أخيرا جاء الصباح جديد ومعه الأمل جديد، حمزة نام قليلا وأما سعاد خرجت إلى الخارج لكي تشتري بعض الأشياء من أجل وجبة الإفطار، حين رجعت إلى منزل نوال فوجدها قد استيقظت وفي المطبخ، رأت نوال سعاد وتفاجأت كثيرا.

فقالت سعاد لها: صباح الخير يا أُختي نوال.

ردت عليها: صباح النور يا أُختي سعاد، أين كنتي؟!

أجابتها: خرجت من المنزل لكي سرقت بعض الأشياء من أجل وجبة الإفطار، اعتذر عن أني لم أخبرك بالأمر لأنك كنتي نائمة حينها.

قالت نوال: ما شاء الله عليك، كأنك للوقت الطويل في مدينة طنجة، ولكن لماذا جلبت هذه الأشياء؟ لدينا لكي نأكل وجبة الإفطار.

فدخلت غثية إلى المطبخ وهي مازالت أنانية وغـــير مبتســـمة، بدون التحدث لكي تشرب الماء في أنظار والدها نوال وسعاد.

فقالت لها نوال: يا أيتها الفتاة هل لم يجب عليك أن تقـــولي " صباح الخير "، يا لك من فتاة متكبرة !، هل لم يجب أن تقول الشيء لخالتك سعاد؟ يا غثية.

لقد ذكرت غثية كلامها معها بالأمس فغضبت كثيرا.

وردت عليها وهي محترقة داخليا: صباح الخير، يا خالتي سعاد أريد أن أعتذر منك عما حدث بالأمس لأني كنت غاضبة وطبعـــا ليس من ابنك.

فقالت سعاد: يا ابنتي قد نسيت، صباح...

دون أن سعاد تكمل كلامها معها شربت ثم خرجـــت عـــن سرعة في أنظارهم.

قالت نوال: يا أُختي سعاد اعتذر عن أفعال ابنتي غثية، مازال لم لديها عقل ولا أعرف ماذا أفعل معها.

ردت عليها سعاد: لا داعي للاعتذار يا أُختي نـــوال، أنـــا لم أغضب منها لأنّها مازالت صغيرة، سوف تكبر وسوف تصبح مـــا

تريدين، لا تقلقي، هيا، سوف استيقظ أبنائي لنناول وجبة الإفطار معكم وهي الأخيرة ثم نودعكم..

فقالت نوال: ماذا؟ لماذا تريدين أن نذهب بعد وجبة الإفطار؟ يا أُختي سعاد لا داعي لأن نتعب في التحدث، لن يذهب أبناؤك إلا أن تجدي منزل، هذا المنزل نور عندما أتيتم.

ردت عليها سعاد: شكرا جزيلا ولن أنسى خيركم علينا.

قد استيقظ كل من في المنزل ثم أخذوا وجبة الإفطار بالسعادة والحب على الرغم أن مازالت أنظار صفية وغيثة الأنانية حول سعاد وابنيها، لكن بمقابل ذلك كانت عيون محمد ونوال المليئة بالفرح وبالحب، كأن صفية وغيثة ليسوا من أسرة محمد ونوال لأنهن مختلفين عنهما، وبعد أن انتهوا من وجبة الإفطار قد خرجت سعاد برفقة نوال إلى الخارج على الأمل أن توجد منزلا لكراء من أجل أن يعيش فيه هي وأبناؤها على الرغم الأمر صعب قليلا بسبب الشكل الهندسي لمدينة طنجة وكما معلوم أن حمزة لديه إعاقة، وأما هو وأناس بقوا مع محمد في المنزل.

بعد الساعات الطويلة من البحث أخيرا رجعت سعاد ونوال إلى بيت عائلة نوال ولديهن خبر سعيد فهو؛ أن أخيرا وجدت سعاد

منزلا لكراء من أجل العيش فيه كل من سعاد وابنيها حمزة وأناس، كانت سعاد سعيدة جدا وحتى حمزة وأناس فرحوا عندما سمعان الخبر.

قال محمد لهم: أنا سعيد من أجلكم ولكن في نفس الوقت أنا حزين لأنكم سوف ترحلوا من هذا المنزل، هذا المنزل أصبحت فيه الفرحة حينما أتيتم إليه.

ردت عليه سعاد بالابتسامة المليئة بالحب: شكرا جزيلا لك يا عمي محمد، لكن لا داعي للحزن لأننا سوف نزوركم في المناسبات وأصبحتم عائلتنا الثانية، وانتم سوف تزورونا في منزلنا جديد حين تحسن أمورنا.

فقالت نوال: أكيد أن أصبحتم جزء من أسرتنا وأكيد أن سوف نزوركم، ولكن ليست أن حين تحسن أموركم وانا منذ غدا سوف اذهب عندكم لكي أساعدكم.

ردت عليها سعاد: شكرا جزيلا لكم يا أُختي نوال، لا أدري بماذا سأرجع لكم هذا الخير الذي فعلتموه معنا.

قال محمد: يا ابنتي سعاد بأنك تحذر من أن تكونوا ليس بخير لأننا نريد أن تكونوا بخير فقط.

فنظروا إلى بعضهم البعض كل من سعاد وابنيها ونوال ومحمد بنظرة الحب والفرحة، وأما صفية وغيثة كانتان ينظرن إلـــيهم ثم إلى بعضهما البعض بالأنانية، قد تناولوا وجبة الغذاء مع بعضهم البعض في المرة الأخيرة قبل أن يغادر من منزل أسرة نوال إلى المنزل جديد كل من سعاد وابنيها حمزة وأناس، على الرغم أنهم أتـــوا إلى بيـــت أسرة نوال بليلة الأمس قد حسوا بأن صارت لديهم الفترة الطويلة وهم في هذا البيت لأنهم قد حسوا بالحب الكثير في عيـــون محمـــد ونوال، واستعدوا به رغم نظرات غيثة وصفية لأن الحـــب يقتـــل فيروس الكراهية، أخيرا صار يجب أن يخرجوا من هذا البيت يعـــني أن أخيرا جاءت لحظة الوداع، كانت صعبة للغاية لدى سعاد وابنيها ولكن هذه هي الحياة لازم يكون الفراق حتى بين الآباء وبين الأبناء لكي تستمر الحياة بالنجاح، حتى محمد ونوال كان لديهما الـــوداع لدرجة أن محمد قد بكي عندما ودع حمزة، وقد تأثر حمـــزة بفعـــل محمد، فخرجوا كل من سعاد وحمزة وأناس من بيت العائلـــة الـــتي فتحت باب بيتها أمام وجوههم، والتي صارت عـــائلتهم الثانيـــة، كانت برفقتهم نوال لتساعدهم على الدخول إلى المـــنزل جديـــد، وكانت نوال نريد من ابنتها غيثة أن تذهب معهم ولكنها فرضـــت على الذهاب معهم.

وعندما وصلوا إلى الحي الذي فيه المنزل ونزلوا من السيارة الأجرة في الشارع ليس بعيد عن المنزل، نظروا إلى حولهم وسألوا في نفسهم: ماذا سيحدث لهم في هذا الحي؟

وخاص إلى سعاد كان لديها الخوف أن سيحدث لها مثل حدث لها في مدينة الدار البيضاء، وأما حمزة كانت عيناه حول إحدى المرأة تبيع الخبز في الشارع، فاستمروا في المشي إلى جهة المنزل جديد وكانت في استقبالهم عند باب المنزل شامة وهي صاحبة المنزل، ويبدو أنها إنسانة ليست راحمة، فنظرت إليهم بالنظرات الغريبة، لقوا عليها فردت عليهم السلام ولكن بالسلوك ليس جيد ثم فتحت لهم باب المنزل لكي يدخلوا حقائبهم ولم تكون كثيرة، وبعدما انتهوا من تداخل الحقائب وحمزة تدخله أناس، أما شامة بقت في الخارج بانتظار سعاد، فرجعت عندها سعاد بالابتسامة.

قالت سعاد: شكرا جزيلا لك يا أُختي لأنك فتحت لنا باب بيتك.

ردت عليها شامة: عفوا يا سعاد، لكن أريدكم أن تتركوا في شكله مثل أن دخلتم إليه عند خروجكم منه، وأريد أن يكون نقودي جاهزة كل رأس الشهر ولن تتأخري عليّ.

أجابتها: حسنا يا سيدتي.

قد صعدت شامة إلى الطابق الثاني لأنّها تسكن هناك، فنظرت إلى المنزل وترى نفسها أن بالأمس كانت تعيش في منزلها بالكرامة ولكن اليوم ستعيش في منزل الناس بسبب ظلم الذي أحست به لدى جيرانها الماضيين أو لدى الناس الذين كانت تعاملهم كعائلة لأنّها فقط امرأة الأرملة، هذه النظرة السيئة مازالت في بلدنا أو في بعض الدول، والتي دين الإسلام لا يسمح بها لأن المرأة في الإسلام لديها مكان عظيم، لكن بعض مثل هذه النظرة جعلت الآخرين أن يفكروا بالفكرة الخاطئة حول المرأة المسلمة.

لقد دخلت سعاد إلى المنزل، وبدأوا في جاهز المنزل لنعيش فيه بمساعدة نوال، ونوال لم تبتعد عن سعاد منذ يوم الأمس من أجل مساعدتها، هذه هي التي يتميز بها الشعب المغربي ولكن في هذا العصر بدأت هذه الميزة تخفي في المجتمع المغربي إلا بعض الناس مازالوا لديهم الميزة مثل نوال وأبيها محمد.

وبعد الساعات من تجهيز المنزل فقد تعبوا وشعروا بالجوع، أرادوا أن يشتروا الخبز فذكر حمزة ذات السيدة التي تشتري الخبز في الشارع، فأخبرهم حمزة بأمر السيدة بائعة الخبز، وأمرها لم يذهب

من باله منذ أن رآها، قد أعجبت نوال الطريقة التي يتواصل حمـــزة بها.

قالت لسعاد: يا أُختي سعاد جيد أن حمزة يتحدث معكم عـــبر الكتابة، ولكن في نفس الوقت أنا متفاجئة عن كيف تعلم القـــراءة والكتابة، نعم أعلم أن توجد المراكز الخاصة بالأشخاص في وضعية إعاقة، ولكن كيف؟

ردت عليها: لا، لم يتعلم حمزة في المدرسة بـــل قـــد تعلـــم في الإنترنت بواسطة الهاتف الذهاب، نعم هذا الأمر غريب ولكن حمزة حارب الأمية بالهاتف، في أول يوم الذي فيه كتب لي جملـــة في أول المرة كم اني بكيت بدموع الفرحة لأني قد راحت في إحدى الناحية لأن صارت لديه طريقة لكي يتواصل مع الآخرين الحمد لله، بالنسبة إلى هذه المراكز نعم توجد ولكن لا يوجد التعليم للمعاقين وخـــاص إلى الأشخاص الذين لديهم مرض مثل مرض ابني حمزة، وفقط هذه المراكز لرعاية الأطفال في وضعية إعاقة ذهنية، ولكن في الســـنوات الأخير بفضل بعض الجمعيات الحقوقية قد نظرت الحكومة قليل إلى تعليم ذوي إعاقة، على الرغم ذلك أن هذا غير كـــافي والمغـــرب مازال متأخر في مجال الإعاقة، وليس فقط في حق التعليم بل جميـــع الحقوق.

وقالت نوال: ما شاء الله على ابني حمزة، ولو كان في إحدى الدول الأوروبية يكون يدرس أو يكون لديه أي وظيفة ولكن للأسف الشديد، والآن انه يتحدث معكم عبر هذه الواسطة أهم الشيء، يا ابني أناس هيا اخرج معي كي تجلب الخبز وآخذ سيارة أجرة لأني أريد أن أذهب إلى بيتي..

قطعتها سعاد قائلة: ولكن يا أُختي نوال إلى أين تريدين أن تذهبي؟ انتظري حتى بعد أن تشربي معنا الشاي اذهبي.

ردت عليها: لا يا أُختي، يجب أن أذهب لأني قد تأخرت كثيرا، لكن في غدا بالصباح سوف ارجع عندكم لكي أتناول وجبة الإفطار معكم ثم نخرج من أجل البحث عن العمل لك كما وعدتك.

لقد خرج أناس ونوال من أجل أن أناس يجلب الخبز وأن نوال تذهب إلى بيتها، كان حمزة ينظر إلى نوال كأنه يريد أن يقول لها الشيء ولكن لم يستطع.

فقال في نفسه: يا خالتي نوال لديك حق بأن إذا أكون في إحدى الدول الأوروبية يكون لدي الحقوق مثل الموطن الطبيعي أقل

ولم أكون عال على والديّ ولم يكن مستقبلي المجهـــول مثـــل الآن ولكن للأسف الشديد...

وكان حزين جدا.

بعدما وصلان عند بائعة الخبز وقف عندها أناس لكي يشتري الخبز وأما نوال اقتربت من الطريق لكي يأخذ سيارة أجـــرة، قـــد اشتري أناس الخبز ثم ودع نوال، في نفس الوقت كانت نوال تودع أناس فقد رأت زوجها السابق في السيارة ومعه المرأة والطفل، يبدوا انهم أسرته الحديثة وكانوا سعداء جدا، والزوج كأنه لم لديه الطفلة الأخرى في انتظارها ولم يتخلّ عن الإنسانة التي كانـــت في حاجـــة ماسة إليه، وهذا النوع من الرجال موجود في المجتمع والذين كـــل ما يجب أن قوله عنهم هو: لا يستحقوا أن يكونوا من أمـــة محمـــد صلى الله عليه وسلم ولا أن يكونوا ينتموا إلى أي دين ولكن رغـــم ذلك يكونون هؤلاء الرجال غالب الأحيـــان يعيشـــوا في داخـــل المجتمع بخير مثل زوج نوال سابق يبدو أنه يعيش بالسعادة لأن قد وجد في المرة الأخرى امرأة مثلية لكي تلبي كل رغباتـــه ودون أن يتألمه ضميره في جهة نوال وابنتهما غيثة، قد ابتعدت السيارة عـــن نوال ولكن مازالت في ذهنها الصورة أن زوجها السابق مع المـــرأة الأخرى، وكانت تحترق في داخلها ولكن لا تستطيع أن تنزل ولـــو

دمعة واحدة لأن عيناها لا لديهما الدموع بعد بشـــدة أن كانـــت تبكي بعد، فجاءت إحدى السيارة الأجرة ثم ركبت نوال.

في العودة إلى سعاد وابنيها، رجع أناس ثم شربوا الشاي وبعد أن انتهوا من الأكل قد كملت سعاد بعض الأعمال المنزلية ثم ذهبوا إلى النوم، ولكن سعاد وحمزة لم يستطيعوا أن يناموا في هذه الليلـــة أيضا وليس سبب فقط هو أن المنزل جديد بل هما ظلوا طوال الليل يفكروا وذلك السؤال الذي على بالهم منذ ليلة الأمس فهو " ماذا سيحدث لنا في هذه المدينة؟ "، كل واحد منهما كان يفكر في الجهة الأخرى، كان سعاد تريد أن تعمل في أقرب وقت ممكن من أجل أن توفر لأبنائها العيش الكريم كما سابق رغم أن كان العيش ليس جيد ولكن الحمد لله كانوا يعيشوا بخير، وأما حمزة كان يفكـــر بكيـــف يعمل رغم إعاقته صعبة، فالحقيقة أن إعاقته ليست هي سبب رئيسي سيكون أمامه بل نظرة المجتمع لأن الإعاقة مجرد عجز عند الإنسان سوء كان جزئي أو كان كلي وذلك سوء كان على مستوى الجسم أو كان على مستوى الذهن يستطيع الإنسان أن يعيش مع العجـــز والإعاقة ليست هي النهاية، صحيح أن إعاقة حمزة جد صعبة ولكنه يستطيع أن ينتصر عليها، وأما نظرة المجتمع هنا من الصعب علـــى التحدث عنها بشكل عام لأن كل المجتمع لديه النظرة ليست مثل التي لدى الآخر بل مختلفة تماما، لا نقصد أن المجتمـــع واحـــد في

إحدى الدول ليس مثل الذي في الأخرى بل نقصد أن عديد من المجتمعات في الدولة واحدة مثل المغرب، صحيح أن نعيش في المجتمع واحد ولكنه ينقسم إلى العديدة من الفئات الاجتماعية، وإحدى الفئة لديها رؤية للحياة مختلفة تماما رؤية الآخرين حسب وضعيتها الاجتماعية، لدرجة أن الشخص لديه النظرة السيئة لحياته، ولن نسيء بمعتقدات بعض الناس ولكن يجب أن تتغير بعض النظرات التي تفسد مجتمعاتنا، وخاص إلى النظرة للمعاق وللمرأة الأرملة أو المطلقة، هذا هو حال سعاد وحمزة حينما كانت نوال تبكي وتحترق بصمت في منزلها بسبب المرض الذي ليس لها أي ندم فيه وفقط قدره الله تعالى عليها لكي يختبرها في هذه الدنيا وهي قد نجحت في هذا الامتحان، ولكن زوجها لم يستطع أن يحتمله لذلك تخلى عنها وعن ابنتهما وقد ذهب إلى البعيد مما جعل قلب نوال إنهار تماما، نوال لم يضعفها المرض ولكن فعل زوجها السابق عندما كانت مريضة أضعافها وقضي عليها بالكل وفقط ما زالت واقفة وصامتة من أجل ابنتها غيثة.

في الصباح بالفعل أن رجعت نوال عند سعاد لكي يتناول معهم وجبة الإفطار وبعدها تخرجون من أجل البحث عن العمل، وكانت برفقتها ابنتها غيثة، والآخرة لم تكن تريد أن تذهب معها ولكن بعد أن ظللت نوال تريد ذلك بشدة قد وافقت غيثة، وبعدما

دخلت نوال إلى المنزل الذي أخذته سعاد قد جهزت مع سعاد وجبة الإفطار وهي كانت حضرت شيئا في منزلها قبل أن تأتي عند صديقتها سعاد.

وبعد انتهوا من أكل وجبة الإفطار كانت سعاد ونوال يريدوا أن يخرجان من المنزل من أجل أن يبحثان عن عمل لسعاد ولكن نوال قد اقترحت لسعاد فكرة فهي؛ اقترحت أن حمزة وأناس يخرجان مع غثية من أجل أن يكتشفان مدينة طنجة وأن يستمتعان في وقتهم لأنّها رأتهما حزينين قليلا وخاص إلى حمزة ولكن سعاد لم تعجبها هذه الفكرة لأن غيثة لا تستطيع أن تكون مرتاحة مع حمزة وأناس وخاص أن بعد ما فعلته بالليلة قبل يوم الأمس في منزلهم، بالفعل ما توقعته سعاد لم تكن غيثة تريد أن تخرج مع أبناء سعاد، نعم إن حمزة حزين كثيرا ولكن هذه الخرجة التي اقترحتها نوال لا يمكنها أن تهدأ نار الغضب التي في قلب حمزة وسببها خصوصا هي نظرة المجتمع وهنا نقصد أن كل مكونات المجتمع، فاقترح أناس بأنه يخرج مع حمزة ليس بعيد عن المنزل وخاص أن قريب من المنزل يوجد شاطئ لمدينة طنجة، فقد وافقت سعاد بشرط أن يجب عليهما أن يأخذوا الهاتف معهما من أجل أن تطمئن عنهما، ثم ذهبت نوال وسعاد من أجل البحث عن العمل، وغيثة أيضا غادرت المنزل فقد راحت لأن لم يكن عليها أن تبقي مع حمزة وأناس.

وبعد مدة ساعة من ذهاب سعاد ونوال قد خرج كل من حمزة وأناس من أجل أن يكتشفا محيط المنزل الذي أخذوه، وأناس كان يقود كرسي متحرك لحمزة طبعا، كل ساعة أو كل دقيقة تتصل بهما سعاد لكي تطمئن عنهما وهذا الأمر يزعج حمزة وأناس قليلا، لكن هذا هو قلب الأم ودائما مشغول باله على الأبناء وخاص إلى إذا وجود الابن في وضعية إعاقة دائما تخشى أمه عليه إذا يحدث له، ف اللهم لن يحرم أي ابن من أمه ومن حنانها وحبها في قيد حياتها. حمزة وأناس قد أعجبتهما مدينة طنجة رغم أن معاملة بعض الناس بسبب أنهما من الداخل ولكن ليس كل الناس، بعض الناس الآخرين التقوا بحمزة وأناس نظروا إليهما بالابتسامة وخاص إلى حمزة ولكن توجد أيضا نظرة الشفافة كثيرا في جهة حمزة، وهنا يجب أن نوقف قليلا، أن نظرة الشفافة هي جزء من إنسانية الإنسان للآخر فلا يمكننا أن نقول إن لا يجب أن تكون بالكل ولكن في نفس الوقت لا نسمح لها أن تكون هي الأساسية أو لا نسمح لتلك النظرة؛ أن الشخص في وضعية إعاقة إنه مسكين ويجب الإحسان إليه ويجب أن نرعي الشخص في وضعية إعاقة مثل الرضيع الذي ولد في هذا العالم لكي يبقى رضيعا، ربما هذا صحيح في الناحية الجسدية ولكن في الناحية الروحية هذا ليس صحيحا بالكل، والشخص في وضعية إعاقة رغم دراجة إعاقته يستطيع أن يعطي

شيئا إلى وطنه وإلى الآخر ولو حبه فقط، استمر حمزة وأناس اكتشاف مدينة طنجة ومازالت سعاد تتصل بهما، وهي الأخرى مازالت تبحث عن العمل برفقة نوال ولكنهن لم يجدوا ولو شيء تجريبي.

وبعد مدة ساعتين من الاكتشاف قد مر حمزة وأناس من تلك السيدة التي تبيع الخبز في الشارع ومع الفكرة اسمها يامنة، فطلب حمزة من أناس الوقوف قليلا، بالفعل أن وقفان وبدأ حمزة النظر إلى سيدة يامنة، يبدو أن هناك فكرة تدور في ذهنه ولكن لم يتحدث عنها مع أي أحد بعد، عندما أحس حمزة بأنها لاحظت وجوده فأعطى إلى أناس إشارة بأن يجب أن يذهبوا، ثم غادروا المكان ورجعان إلى المنزل وبعد دقائق قليلة من رجوعهما قد رجعت سعاد بعد الساعات الطويلة من البحث عن العمل ولكن بدون نتيجة، هكذا كان اليوم الأول في مدينة طنجة وبها قد بدأت حياتهم جديدة.

ظللت سعاد تبحث عن العمل للأيام الطويلة برفقة نوال، ونوال لم تبتعد عن أسرة سعاد ولو ثانية واحدة منذ قدومها إلى مدينة طنجة رغم أن لديها المشاكل الشخصية هي أيضا، وبعد أن مرت الأيام العديدة وتلوى الأيام العديدة أخيرا سعاد وجدت عملا

بشكل عاملة التنظيف في أحد المقاهي على شاطئ البحر لمدينة طنجة، وكانت سعاد سعيدة جدا بهذا العمل ومعها صديقتها نوال، ولكن من خلال هذه الفترة كان حمزة غاضب جدا لدرجة أن كانت النزاعات كثيرة بينه وبين أناس أو بين والدته سعاد أو بين نفسه وبعض الأحيان بدون سبب، هذا طبيعة من الإنسان الذي لا يعيش كمواطن طبيعي وبلا هدف وبلا سبب وجود، أصبح حمزة عاصب ومصعب للغاية لدرجة أن سعاد لم تكن تستطع أن تهدأه وأنه هو أيضا لم يستطع أن يهدأ نفسه، وكانت سعاد من هذا كله كانت تتألم داخليا عندما ترى حمزة في تلك الحالة وهي تعرف أنه لديه الحق في الناحية ولكن لا تستطيع أن تفعل له شيئا، مازالت تذكر بأن في طفولة حمزة كم من باب طرقت عليه من أجل أن حمزة يدخل إلى المدرسة ولكن لم تكن الحكومة تعترف بالطفل في نفس وضعية حمزة طفل طبيعي مثل باقي الأطفال، رغم أن ظهور الجمعيات للدفاع عن حق الطفل في وضعية إعاقة وإن نزل البرنامج الوطني لإدماج الأشخاص في وضعية إعاقة بالتعليم، ما زالت هذه النظرة تمنع أم تحرم الشخص حامل إعاقة الشلل الدماغي من حقه الطبيعي في العلم للأسف الشديد، ولكن عقبة لن توجد فقط أمام الشخص الذي حامل هذه الإعاقة في طريقه الدراسية (التي لا يمكن أن تبدأ إلا بعض الحالات إذا أهل الابن في وضعية إعاقة فعلوا

مستحيلا في سبيل ابنهم يحصل على حقه من العلم) ولكن عقبة التعليم ليست وحيدة التي تعاني منها هذه الفئة بل تعاني من الاهتمام بها من طرف الدولة في حقوقهم مثل باقي الأشخاص في وضعية إعاقة، ولكن الأشخاص الذين حاملين إعاقة الشلل الدماغي يعانوا من النفي من المجالات كلها بل النفي من الحياة الكاملة التي حق كل الإنسان، تاهت سعاد بماذا تصبر ابنه حمزة وبماذا تجيب على أسئلته التي كثيرة ويكررها كل اليوم فهي: يا أمي لماذا أنا لست مثل باقي الشباب؟ ولماذا ليس لدي أي عمل وحتى أي شهادة مهنية أو دراسية؟ هل أنا لست إنسان طبيعي، بهكذا كان يسأل حمزة والدته سعاد.

وهي لم تكن تستطع أن ترد عليه وكانت تتألم بصمت ولكن على الرغم ذلك كانت توقف كجدر من أجل أبناؤها، وكانت توقف في جانبها صديقتها نوال وقد ساعدتها في الناحية المعنوية كثيرا على الرغم أن لديها المشاكل الشخصية هي أيضا

حيث إن زوجها السابق ظهر في حياة ابنتهم غيثة بعد المدة الطويلة من الخفاء عن الأنظار، وكان يقترب منها بالسر ودون أن نوال تعلم بذلك لدرجة أن قد التقى بها في السر، قد ذهبت غيثة عند أبيها دون أن تخبر والدتها بالأمر، حين علمت نوال بكل ما

حدث من وراءها قد غضبت كثيرا ولم تسمح لغيثة أن تلتقي بوالده في المرة الأخرى، هذا طبيعي لأن حقها أن تمنعه من رؤية ابنتها بعد كل ما فعله لهما ولكن، في ذات اليوم قد التقت به بعد المدة الطويلة حينما كان ينتظر ابنتهما غيثة في جانب مدرستها، فرأى نوال وقد تفاجأ، تفاجأ من المرأة رغم أن وقعت عليها الأشياء السيئة في حياتها مازالت قوية وواقفة.

قالت له: السلام عليكم يا يوسف، لماذا أنك هنا؟

رد عليها بكل الوقاحة: وعليكم السلام يا نوال، كيف حالك؟ أنا هنا لكي أرى ابنتي.

فقالت بالغضب: أي ابنة؟! هل التي تخلت عنها وعن أمها؟ أنسى أنا وطيب إني أصبحت امرأة غير كاملة ولكن لماذا تخلت عن ابنتك الوحيدة؟ أو أليست وحيدة؟ أنا رأيتك في ذات اليوم مع أسرتك جديدة، ممنوع من الاقتراب من ابنتي لأنّها ابنتي أنا فقط وليست ابنتك، رغم أن كل ما فعلته لي قد استطعت أن أتجاوز منه بحب ابنتي، ولكن ظهورك الآن في حياتنا تسبب بأن حي الجراح الذي للزمن البعيد نسيته، أرجوك يا سيدي أن تعود إلى أين كنت.

رد عليها بالأنانية: ليس عدال انك تحرمني من غيثة لأنّها ابنتي أيضا كما هي ابنتك، بالنسبة إلى علاقتنا كانت جميلة ولكنها لم تنجح مثل بعض العلاقات.

فضحكت نوال بشدة أن كانت عاصبة، فتفاجأ من فعلها هذا.

وقالت: ضحكني كلامك هذا، طيب يا سيدي لا يجب أن أحرمك من ابنتك بل هي التي لا يجب أن احرمها من أبيها، ولكن لدي شرط ؛ أنها مازالت تتجاوز من ثامن وعشرة سنة مما اني مازلت مسؤولة عليها، يجب أن تنتظر حتى تكمل عشرين سنة حينها يمكنك أن تلتقي بها، إذا تسامحك رغم الشيء كله الذي فعلته لها هي حرة، وأما الآن ممنوع أن تقترب من ابنتي، إذا تقترب منها في المرة الأخرى قبل عشرين سنة سوف ابحث عن منزلك جديد من أجل أن أخبر زوجتك الخالية بكيف تخلت عن زوجتك السابقة وابنتكم لأنّها فقدت الثدي، وليست وحيدة بل سوف أخبر أيضا كل جيرانكم.

نظر يوسف إلى نوال بنظرة الاستغراب، في ذلك الوقت قد خرجت غيثة من مدرستها وقد فرحت حينما رأت أبيها مع أمها في انتظارها، وهم أيضا رأوها ولكن يوسف قد غادر للخشى من نوال أن تفعل ما الذي قالته له، فنادته غثية ولكنه لم يرد عليها وحزنت،

نظرت نوال إليه ثم إلى غيثة، فغضبت غيثة من أمها لأنّها عرفت أن بسبب أمها أبيها قد ذهب.

بالفعل أن يوسف قد أبتعد عن حياة ابنته غيثة نهائيا بمقابل ذلك أشد صراع بينها وبين والدتها نوال لأنّها كانت تظن أن أبيها قد أبتعد عنها بسبب والدتها، ربما هذا المعتقد فيه شيء من الحقيقة ولكنها لم تكن تعرف أن أبيها فضل حياته جديدة من الاقتراب منها وفضل أنه يكون بخير مع أسرته الأخرى من أن يدخل إلى الصراع مع والدتها نوال من أجلها، وتطور الأمر إلى أن غيثة باتت قطعت الكلام مع والدتها نوال للأيام.

قد مر سبع أشهر من إتيان سعاد وابنيها إلى مدينة طنجة بدأوا يحبوا حياتهم جديدة، ولكن لا يفتحوا قلوبهم لجبرانهم جديدين للخشى من أن يحدث لنا نفس الأمر الذي حدث في مدينة الدار البيضاء، كان باب بيتهم دائما مغلق لدرجة أن بعض النساء كانوا ينعتوا سعاد بالمرأة المتكبرة، بهذا تبدأ سعاد تلتقي الظلم من جديد ولم يعرفوا ما حدث لها الذي جعلها هكذا، وسعاد لم تفتح قلبها على أي جارة أم أي صديقة إلا نوال وهن كانوا أعز الصديقات ويساعدوا مع بعضهن في جميع العقبات التي تواجهت إحداهما، هذه هي الصدقة الحقيقية التي أنشأت أساسيا من الاحترام والتقدير ومن

التعاون وحب الأخوة وليس من الضروري أن نكون أخوة من نفس الأم ونفس الأب.

كان حمزة جد عاصب لدرجة أن صارت في قلبه الكراهـــة في جهة حكومة بلده لأنّها لم تفعل شيئا في مجال الإعاقة بالتالي لم تفعل له شيئا في حياته من أجل أن يحصل على الحياة المحترمة مثل بـــاقي الشباب (ولكن بعض الشباب رغم أن ليس لـــديهم أي إعاقـــة لم يجدوا مستقبل جيد في بلدهم بسبب أهاليهم ليسوا غنيين أو لـــيس لديكم أصدقاء المصلحة)، الذي يجب أن يكون هو أن كل الشـــاب سوء كان لديه إعاقة أو ليس لديه وسوء كان ابن العائلة الغنيـــة أو كان ابن العائلة الفقيرة حقه أن يحصل على العمل الذي يفعلـــه في هذا الدنيا، وليس من الضروري أن يكون الهدف وراء هذا العمـــل فقط بل... نعم ضروري أن يكون الهدف المادي قلـــيلا ولكنـــه لم يخرج من حدوده مثل السمكة لا يمكن أن يخرج من وسطه الطبيعي إلا بداخل الإنسان بل الهدف العظيم هو ؛ يحصل على معنى حياتـــه أو معنى آخر يحصل على سبب وجوده في سطح هذا الكون، هـــذا هو الذي يسعى إليه ويريده حمزة لأنه مؤكدا أن نظرة الناس حولـــه ليست صحيحة، وهو أيضا يجب عليـــه أن يخـــدم بلـــده بالحـــب وبالخلاص.

مرت الأيام تلو الأيام وحمزة في نفس هذه الحالة، أصبح حمـــزة غاضب كثير ومن الشيء البسيط كانت شغلت نار الغضب التي لا تستطيع سعاد أن تهدأه وحتى حمزة لا يستطيع أن يتحكم عن نفسه.

في ذات اليوم قد سمعوا خبر بأن السيدة بائعة الخبـــز أصـــبت بأحد المرض وباتت لا تستطيع أن تبيع في الشارع، طبعا هذا الخبر حزنهم وحمزة أيضا حزنه هذا الخبر ولكن نفس الوقت فكر بإحدى الفكرة، هذه الفكرة تكون في مصلحة السيدة وأيضا مصلحة حمزة، يمكنها أن تخرجه من هذه الوضعية السيئة، على الـــرغم أن هـــذه الفكرة صعبة بسبب إعاقته فإنه يريد أن يحققهـــا في أرض الواقـــع ولكن هذه الفكرة فكر بها بعد أن الحلول مغلق على وجهه وهو في أنظاره يجب أن تكون لديه الوظيفة في أي إرادة أقل من الحقوق التي الأمم المتحدة تشير إليها.

قد بدأ في تخطيط كيف يقوم بهذا العمل، ولكنه لم يريـــد مـــن والدته سعاد أن تعلم هذا الأمر، وإذا تعلمه سوف تمنعه من تحقيـــق الفكرة لأنّها لديها الفكرة فهي يجب أن حمزة في حياتها يكون تحـــت مسؤوليتها في الناحية المادية والمعنوية أيضا يعني أن يجب عليهـــا أن إلى الأبد تلبي كل احتياجاته ومنها الأمور المادية، وعنـــد ولادتـــه أصبحت لديها مهمة وحيدة فهي أنها تكون في جانبه طوال حياتـــه

وطوال حياتها، لدرجة أن تمنيت انه يموت قبل أن تموت لأنه سوف يضاغ بعد أنها تكون كانت تظن ذلك، بالفعل أن بعض مخاوفها صحيحة ولكن على الرغم هذه الوضعية من حقه وواجب على المسؤولين أن يحصل على الفرصة لكي يبين مواهبه وقدراته التي يتميز بها والتي ممنوعة من الظهور بسبب شكله ونظرة المجتمع حول الشخص في وضعية إعاقة، يوجد هناك العديد من الأشخاص حاملين إعاقة الشلل الدماغي قد نجحوا في حياتهم بالعالم، وحتى في المغرب ولكن هنا بسبب إجهاد أهاليهم والضرورة المادية جيدة.

استمر حمزة في التفكير وبعد الوقت الطويل من التفكير قرر أن يخبر أخيه أناس بفكرته عبر الكتابة ولكن أناس لم يوافق على مساعدته في فعل الفكرة عندما تحدث معه عنها في الأول، وبعد الوقت الطويل من التحدث قد أستطع حمزة أن يقنع أناس في أن يساعده في فعل الفكرة، وبعدها تحدثان عن كيف يفعلوها.

بعد بعض الأيام، في ذات الصباح قد أعطى حمزة إلى حمزة بعض المال التي كان يجمعها، قد أخذ أناس أيضا الظرف ثم خرج من المترل، وأما حمزة كان ينظر بالأمل كأنه سيحصل على الفرصة الكبيرة ويمكنها أن تغير حياته.

قد جاء أناس إلى منزل بائعة الخبز يامنة ويبدو أن لم يكن يريد من احد أن يتعرف عليه، وقد وضع الظرف والنقود على تحت باب منزل يامنة وبسرعة قد غادر، ففتحت يامنة الباب ثم رأت النقود والمال، استغربت من الأمر وسألت نفسها: من وضع هذه الرسالة وهذا النقود؟ ولماذا؟!.

فدخلت وبعدها فتحت الظرف ثم بدأت في قراءة الرسالة.

وقال حمزة في الرسالة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يا سيدتي يامنة نتمنى أن عندما تقرأ هذه الرسالة تكوني بخير، يا سيدتي علمنا إنك تعرضت إلى الحادثة وبسببها أصبحت لا تستطيع أن تبيع الخبز في الشارع، أولا الحمد لله على سلامتك، يا سيدتي لدينا عرض لك فهو أن تحضر الخبز في منزله ثم تبيعه لنا، ونحن سوف نعيد بيعه في الشارع، وأكيد أن وجدت برفقة هذه الرسالة بعض النقود وهم نقود الطلب الأول لتعرف أننا لا نبعدما وصلوا إلى مدينة طنجة سعاد وابنيها، حمزة وأناس، تاهوا وليس لديهم أحد في هذه المدينة إلا الله تعالى، فقد مشوا لوقت طويل.. لوقت طويل حتى تعبوا ولم يستطيعوا الحركة، فوقفوا عند أقرب مطعم.

قال أناس وهو تعب: يا أمي هيا بنا لكي نأكل شيئا في هذا المطعم لأننا سوف نموت جوعا.

ردت عليه سعاد: صح يا حبيبي أناس يجب أن نأكل ولكن أولا يجب أن نجد شقة للإيجار أو فندق يكون ثمنه مناسب لكي ننام فيه هذه الليلة لأن الليل قريبا سيحل.

كانت هناك قربهم سيدة اسمها نوال ويبدو أنها أشفقت على حالهم. أرادت سعاد وأبناؤها المغادرة فأوقفتهم.

قائلة: انتظروا يا سيدتي، هل يمكننا التحدث قليلا؟

ردت عليها سعاد: نعم يا أُختي الكريمة يمكننا أن نتحدث، تفضلي وعن ماذا سنتحدث؟!.

قالت لها: أريد أن أسألكم يا سيدتي هل أنتم ليستم من هذه المدينة؟ لأنه يبدو أنكم غرباء عن المدينة، من أين أتيتم؟ وهل أتيتم إلى مدينة طنجة من أجل السياحة؟ أو من أجل ماذا؟

أجابتها قائلة والدموع لا تفارق عينيها: أجل يا سيدتي، أجل نحن غرباء عن المدينة بل نحن من مدينة الدار البيضاء، لكن يا سيدتي يا ليتنا لو أتينا إلى هنا من اجل السياحة فقط. بل لقد أتينا من مدينتنا بعد أن تخلوا عنا أحبابنا بسبب نظرة المجتمع للمرأة التي ليس معها رجل، لا أريد أن أزعجك بقصتي لأنّها طويلة ومليئة

بالجروح، يا سيدتي ممكن أن تساعدنا في البحث عن فندق يكـــون ثمنه مناسب.

فقالت لها: لا يا أُختي لا تقولي فندق لأنكم ســـوف تكونـــوا ضيوفنا في بيتنا، أعيش مع أمي وأبي فقط ولدي طفلة صغيرة، وأنـــا اسمي نوال، تناديني ب نوال فقط.

ردت عليها: لا يا أُختي نوال لا داعي لأن تزعجـــي نفســـك وأهلك، فقط يمكنك أن تساعدنا في العثور على الفندق.

قاطعتها قائلة: لا أريد أن أسمع " ولكن " هذا القرار انه نهائي يا أُختي.. ألا تريدوا أن تشرفوني بأسمائكم؟

ردت عليها وهي مبتسمة قليلا: شكرا جزيلا لك يـــا أُخـــتي نوال، لن أنسى خيرك هذا، أنا اسمي سعاد وهذا ابني اسمه حمزة وأما الآخر اسمه أناس.

قالت نوال: تشرفنا يا أُختي سعاد، إذن اتركونا نتناول شيئا في هذا المطعم قبل أن نذهب إلى بيت عائلتي لأنه يبدو أنكم لمدة طويلة لم تتناولوا شيئا.

ردت عليها سعاد: حسنا يا أُختي نوال، شكرا جزيلا.

بالفعل دخلوا إلى المطعم وطلبوا الطعام، لكن قبل أن يصل الطعام إلى مائدتهم ذهبت نوال إلى مكان لكي تخبر أهلها بأمر سعاد. وبعد مدة ثلاثين دقيقة رجعت عندهم ولكن وجهها تغير نوعا ما، ووجدتهم بدأوا في الآكل فرأتها سعاد.

قالت سعاد لنوال: أهلا يا أُختي نوال، هل لديك أي مشكل؟ نعتذر عن أننا بدأنا الأكل لأن أبنائي لم يستطيعوا أن يصبروا.

رجعت نوال إلى طبيعتها، فردت على سعاد: يا أُختي ليس لدي مشكل، شكرا لك لأنك فكرت بي، لا داعي للاعتذار وبالحقيقة لا أشعر بالجوع وفقط سوف أشارككم الطعام.

جلست نوال إلى المائدة كي تتناول قليلا من الطعام من أجل أن تشاركهم الطعام، وبعد أن انتهوا من الأكل وجاء عندهم النادل أرادت نوال أن تدفع ما عليهم ولكن سعاد رفضت، وبعد وقت طويل من التحدث وافقت سعاد على أن نوال تدفع ثمن الطعام، ولكن حمزة كان غير راضي عن أن تدفع ما عليهم وحتى غير راض أيضا عن فكرة الذهاب مع نوال إلى منزلها وسعاد كانت تحس بهذا الأمر وهي أيضا كانت غير راضية عن تلك الفكرة ولكن لا تستطيع أن ترفضها، على حالته يبدو أنه ليس مرتاحا ومتعصب، هذا الأمر يرجع إلى إعاقته يعني أن هذا من اضطرابات الإعاقة

ولكن ليست هي السبب فقط لأنه يمكن أن نتجنب هذا الاضطراب بتوفير المحيط السليم والإدماج داخل المجتمع، مما جعل نوال أشفقت على حمزة كثيرا لدرجة أنها شعرت بالبكاء ولكن لم تستطع فعل ذلك أمامهم بل كانت تبكي في داخلها، كان حمزة في حاجة للذهاب إلى الحمام فنظر إلى والدته سعاد ثم عرفت انه يريد ذهاب إلى الحمام وقالت له: اقترب من باب الحمام وأنا سوف آتي عندك.

حرك حمزة كرسيه المتحرك باستخدام فدميه فرأته نوال، وقالت لسعاد: انظري إلى ابنك لأنه يتحرك بالكرسي المتحرك.

ردت عليها: نعم ولكن لا تخافي، هو يريد أن يذهب إلى الحمام وأنا سوف أذهب عنده.

عندما وصل حمزة إلى باب الحمام التقى بامرأة، كانت تقدم النقود إلى متسول فرأت حمزة ثم فكرت بأنه هو أيضا متسول، ثم اقتربت منه وقدمت إليه النقود، مما أغضب حمزة وحاول أن يقول لها أنه ليس متسولا ولكنه لا يستطع، شعرت المرأة بأنه يوجد شيء يزعجه، فجاءت سعاد وقالت لتلك المرأة: انتظري قليلا يا سيدتي، إنه ابني.

ردت عليها: اعتذر يا سيدتي، فكرت بأنه..

فقالت سعاد: لا، لا، إنه يريد أن يدخل إلى الحمام فقط.

اقتربت منهما، واعتذرت المرأة من سعاد ثم ذهبت دون أن تعتذر من حمزة أيضا ودون أن تقول له ولو كلمة واحدة. ثم أدخلت سعاد حمزة إلى الحمام، صحيح أن تلك المرأة أهانت حمزة عندما قدمت إليه النقود ولكن لقد أهانته كثيرا بطريقة اعتذارها لأنّها تصرفت كأنه مازال طفلا.

بعد مرور أربع ساعات، أتى كل من سعاد وابنيها برفقة نوال إلى بيت عائلة الأخرى، عيون نوال مليئة بالفرح والسرور، دخلوا إلى بيتها وهي ترحب بهم، قبل أن يدخل أناس إلى البيت ذهب إلى مكان ما.

قالت نوال لسعاد بالفرح والسرور: ألف مرحبا بكم يا أُختي سعاد عندنا، إلى أين ذهب ابنك؟ أخشى من أنه لن يعرف طريق العودة إلى المنزل.

ردت عليها بالابتسامة: لا تخافي لأنه سوف يعرف أكيد، ترحب بك الجنة، شكرا جزيلا يا أُختي نوال.

كانت عيون نوال المليئة بالفرح والسرور كأن سعاد هي أختها حقا وقد أتت عندها بعد مدة طويلة من الفراق. لقد جاء كل من

محمد وصفية وغيثة عندهم، محمد وصفية هم والدي نوال وأما غيثة فهي ابنتها. حتى محمد كان فرحا بقدوم سعاد وابنيها ولكن صفية وغيثة لديهم نظرات غريبة كأنهما لم تحبا قدومهم وكان، ذلك بالفعل، فجاء أناس وبين يديه أكياسا من الحلويات والحليب وأشياء ا خرى، وقد رأوه.

قالت نوال: يا ابني أناس لماذا جلبت هذه الأشياء؟ يا سعاد إذن أرسلت أناس إلى المتجر، يا لك من إنسانة أنانية.

ردت عليها سعاد بالابتسامة: كان يجب أن ندخل حاملين شيئا ما، نريد أن نشكركم على أنكم استقبلتمونا في بيتكم.

فقال محمد وهو مبتسم: يا ابنتي أرجوك لا تقولي هكذا لأننا سعداء باستقبالكم وانا أسعدت كثيرا برؤية هذا الولد.

فأقترب من حمزة ثم حضنه، فشكرت سعاد محمد وفرحت ونوال أيضا فرحت وكذلك حمزة فرح. حينما كانت صفية تتحدث مع غيثة بعيدا ويبدو أنهما غير راضيتين..

قالت لها: يا ابنتي أرى جدك كيف يتصرف كأنه جاء عنده العزيز، يا له من إنسان غبي وطيب، هو وابنته.

ردت عليها: نعم يا جدتي، لماذا أمي جلبتهم؟

وقالت: والدتك تفعل ما تريد وتعمل حسب مشاعرها، جيد انك لست مثلها، هيا بنا لكي نرحب بهم.

بالفعل اقتربتا منهم لكي ترحبان بهم ولكن هذا الترحيب لم يكن من قلبيهما فقد أحست سعاد بهذا الأمر وأما نظرات حمزة الى غيثة فتقول أنها أعجبته، بمقابل ذلك فقد احتقرته وعاملته كرضيع مثل ما يفعله بعض الناس، وعلى الرغم من نظرات غيثة وصفية فقد مر اليوم بسعادة وحب وقد شعر كل من سعاد وابنيها بأنهم أتوا عند عائلتهم لأن هؤلاء الناس قد استقبلوهم بالحب وبالفرح. وهذا ما كان يجب على العديد من الناس القيام به ولكن كما يقال* فيها الخير* فقد حصلت سعاد على الأخت وعلى الأب الروحي.

في الليل كانت سعاد تتحدث مع نوال وصفية عن سبب قدومها هي وأبناؤها إلى مدينة طنجة، لقد تأثرت نوال بقصة سعاد لأنّها ذكرتها بجرح في أعماق قلبها وطبعا سببه ظلم الناس لبعضهم البعض.

ردت نوال على سعاد والحزن باد في صوتها: يا أُختي سعاد الحمد لله، الظلم الذي أحسست به أكبر من الذي أحسست به أنا.

فسألت سعاد: ماذا حدث لك؟ يا أُختي نوال.

أجابتها قائلة: تسألين عن ماذا حدث لي يا أُختي، فأنا التي رمتها هذه الحياة في البئر العميق والمظلم، وأنا هي الإنسانة التي تخلى عنها الذي كان حبيبها وزوجها بسبب المرض الذي هو من عند الله تعالى، يا أُختي سعاد فقدت ثدي بسبب سرطان الثدي، لهذا تخلى زوجي عني وعن ابنتنا في أصعب الظروف، نعم فقدت جزء كبير من جمالي وأنوثتي ولكن لم يكن عليه أن يتخلى عنا بتلك الطريقة وخاصة في ذلك الوقت، كأني سبب اني أصبحت امرأة غير كاملة.

فقاطعتها قائلة: لا لا يا أُختي، لم أعرف ماذا يجب أن أقوله لك، لكن أريد أن أقول لك هو؛ انك مازلت امرأة جميلة وأما المرض هو من عند الله تعالى ويجب أن نقبله..

فجاءت غيثة وهي غاضبة ونادت أمها نوال.

ردت عليها نوال: نعم، أنا هنا، ماذا في الأمر؟

قالت غثية: ماذا سنعطيهم من الاخفة؟ يا أمي أخشى من ذلك المعاق انه يفعل شيئا في الليل.

فقالت سعاد وهي غاضبة: يا ابنتي ليس مهم أن ماذا تعطينا من الاخفة، يمكنني أن أنام بدون اللحاف، وابني حمزة ينام بسلام إلى الصباح على الرغم من وضعيته، لا داعي للخوف منه أنه يلوث ملابسكم يا ابنتي.

لقد غضبت نوال وقالت لغيثة: يا غيثة كيف تجرأت على قول ذلك، هيا اعتذري من خالتك سعاد.

فقالت سعاد: لا داعي للاعتذار يا أُختي نوال، لا أغضب منها لأنّها مازالت صغيرة، لو سمحت لي سأذهب عند أبنائي.

كان حمزة في الغرفة المقابلة وقد سمع كلام غيثة عنه فتأثر به كثيرا، هذا الكلام أتم ما بدأه فعل تلك المرأة في المطعم بالصباح. كان لديه إحساس ناحية غيثة ولكن تأكد أن ذلك الإحساس مستحيل. فجاءت سعاد عنده وعرفت انه سمع كل شيء، وكانت تتمنى لو أنه لم يسمع ذلك الكلام ولكن...

قالت له: يا بني هيا لكي اذهب بك إلى الحمام، يجب أن ننام لكي نستيقظ باكرا من أجل البحث عن شقة للإيجار.

في ذلك الوقت كانت نوال تتحدث إلى ابنتها غيثة غاضبة رفقة صفية.

قالت نوال: يا ابنتي كيف تجرأت على قول ذلك للسيدة؟ وهل أنا ربيتك كي لا تحترمي الناس وخاصة إذا كانوا أكبر سنا منك؟ إذا لم تعتذري من...

فقالت صفية بأنانية: يا ابنتي نوال لماذا تتحدثين مع غيثة؟ بالحقيقة من حق غيثة أن تتحدث لأن في الأخير ستكون مهمة التنظيف عليها بعد أن يذهبوا، أنتِ لماذا أتيت بهم إلى بيتنا؟ وهل هذا البيت..

قاطعتها نوال قائلة: اعتذر يا أمي ولكن ممكن ألا تقاطعيني عندما أتحدث مع ابنتي غيثة؟ لا أريد أن أعيد كلامي معك يا غيثة، اعتذري من خالتك سعاد غدا بالصباح أو سأفعل الشيء الذي أكيد لن يعجبك، لديك الخيار.

غادرت غيثة وهي غاضبة من كلام والدتها معها، وأما صفية كانت تنظر إلى نوال وهي أيضا غاضبة ولكن لم تستطع أن تقول لها أي شيء.

عندما كانت سعاد تدخل حمزة إلى الحمام مرت من خلفهما غيثة ونظرت إليهما بنظرة احتقار غضب، لم ترها سعاد وأما حمزة فقد رآها، فغضب بأنها راقبهما على تلك الوضعية.

وقال في نفسه وهو يحترق داخليا: هل تكذب على نفسك؟ يا حمزة، هل فكرت بإمكانية أن يكون شيء بينك وبين غيثة؟ كم أنك غبي ومن يمكنها أن تقبل أن تكون معك وأنت مازالت أمك تلبي أبسط احتياجاتك مثل هذا، الذهاب إلى الحمام؟ هل أنا فقط في حاجة للتفكير بالعلاقات الغرامية؟ كلا، يجب عليك يا حمزة أن تفكر بكيف تحمل المسؤولية أقل قليل من عند أمك مسكينة، هذا هو أهم من الكل.

أرادت سعاد أن تدخل حمزة إلى الحمام، ولكن وجدت معه صعوبة لأنه حاول أن يدخل إلى الحمام حيث أنه أصبح شابا ولا يجب أن تدخله والدته إلى الحمام مثل الرضيع. هذا الموضوع ليس الآن بل منذ أن بلغ حمزة سن الرشد وهو وسعاد يعانيان منه: حمزة كان يحس بأنه ليس رجلا لأن مازالت والدته تلبي له الاحتياجات الشخصية التي يجب أن يلبيها بنفسه ولكن بسبب الإعاقة لا يستطيع ذلك، كانت حالته النفسية مدمرة في أول المراهقة بسبب هذا الموضوع الصعب، أما سعاد كانت حالتها النفسية صعبة كثرا لأن الحياة رمت أمامها المشاكل والعقبات العديدة، العديدة التي مستحيل المرور منها بالسهولة، يجب الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى المعاناة النفسية كانت المعاناة الجسدية أيضا، تحمل سعاد حمزة حتى الآن على الرغم أن عمره ثلاث وعشرين سنة وانه أصبح رجلا،

هذا الأمر يأثر بشكل سيء على صحة سعاد، هذا الموضوع الآخر يلزمه وقت طويل للتحدث عنه....

مع الوقت حمزة لم ينس الأمر هو فقط حاول أن يتقبل قدره من أجل سعاد ومن أجله... إذا سعاد لم تلبّ له تلك الاحتياجات يمتلأ جسده بالحشرات الصغيرة والناس لا يحبوا الاقتراب منه. الحمد لله أن حمزة معه والدته سعاد لأنّها تهتم بتنظيفه رغم هذه الصعوبات من أجل أن يكون جميلا أمام الآخرين، .لكن هذه الليلة عندما رأته غيثة فقد عادت أشعلت تلك الشمعة، تلك الشمعة التي نورها أسود وليس أبيض ويؤذى العيون ويتعب القلوب، حين يقول القدر للحياة: يا أيتها الحياة لديك قواعد للعيش، أنتِ فيك مستويات مثل الدراسة، المستوى الأول يكون الإنسان مازال رضيعا ويجب على الآباء وخاصة الأم أن تعطيه حنانها وحبها من أجل أن تكمل عملية النمو الجسدي والنفسي بنجاح عبر العديد من المراحل ولعل أولها مرحلة الرضاعة الطبيعية وهي ضروري أن تكمل... وهناك مرحلة المراهقة التي صعب المرور منها بسلام فالإنسان يكون خلالها على غير ما يرام كما يقول المثل الشعبي المغربي * الولد بدا يحس بجنابو * والإنسان بدأ بتطلع لتعرف على الجنس الآخر.. إلى الأخير وإلى أن تعود الروح إلى مالكها، ولكن أنا متحكم.. أنا الذي بيده أن الإنسان كيف تكون الصورة التي

أريدها، بعض الأحيان يحرم الإنسان من أمه وهو في أول يوم من عمره للعديد من الأسباب منها طبيعية وأيضا بشرية، بعض الأحيان الأخرى يولد الإنسان وهو يحمل إعاقة ومكتوب عليه أن يعيش بها إلى الأبد.

هذا حوار بين الحياة والقدر بل قانون الكون ويجب علينا أن نكون راضيين به لأن ذلك من الإيمان بالله: إيمان بالقضاء والقدر شره وخيره ولكن، نعم يجب أن نرضى بقدرنا ولكن لا يجب أن نكتب بعض الإضافات إلى القدر. لكي تكون الحياة صعبة جدا أمامنا أو أمام الآخرين كما فعلناه في الواقع مع الأسف الشديد، لا، لا بل يجب أن نغير هذه النظرة مثل: أي إنسان لديه عجل لا يعني أن هو ليس لديه أمل لكي يكون شيء آخر.. لا بل يجب أن نغير هذه النظرة التي لدينا فقط، نحن العرب، هذا كل ما يسعى إليه حمزة رغم أن هذا صعب في ظل نظرة المجتمع للشخص في وضعية إعاقة.

النوم لم يكن يريد أن يأتي إلى حمزة وسعاد وكل واحد منهما يفكر في الجهة الأخرى، سعاد كانت تفكر ب: كيف تجد عمل في هذه المدينة وأولا كيف تجد المنزل لكي يعيشوا بكرامة هي وأبناؤها، وأما حمزة كان يفكر ب: كيف يستطيع أن يتحدى المجتمع ويقول

له: إني لست مجرد معاق وجب عليه أن يبقى عالة على أهله، ولكن السؤال كان يجمعهما هو: ماذا سيحدث لنا في هذه المدينة؟

لقد مرت تلك الليلة بصعوبة. أخيرا جاء الصباح الجديد ومعه أمل جديد، حمزة نام قليلا وأما سعاد خرجت إلى الخارج لكي تشتري بعض الأشياء من أجل وجبة الإفطار، حين رجعت إلى منزل نوال وجدتها قد استيقظت وهي بالمطبخ، رأت نوال سعاد وتفاجأت كثيرا.

فقالت سعاد لها: صباح الخير يا أُختي نوال.

ردت عليها: صباح النور يا أُختي سعاد، أين كنتي؟!.

أجابتها: خرجت من المنزل لكي أحضر بعض الأشياء من أجل وجبة الإفطار، اعتذر عن أني لم أخبرك بالأمر لأنك كنتي نائمة حينها.

قالت نوال: ما شاء الله عليك، كأنك كنت بمدينة طنجة لوقت طويل، ولكن لماذا جلبت هذه الأشياء؟ لدينا ما سنتناوله لوجبة الإفطار.

فدخلت غيثة إلى المطبخ وهي مازالت أنانية وغـــير مبتســـمة، دون أن تتحدث لكي تشرب الماء تحت أنظار والدتها نوال وسعاد.

فقالت لها نوال: يا أيتها الفتاة أليس من الواجـــب عليـــك أن تقولي " صباح الخير "، يا لك من فتاة متكبرة !، ألا يجب أن تقولي شيئا لخالتك سعاد؟ يا غيثة.

لقد تذكرت غيثة كلامها معها بالأمس فغضبت كثيرا.

وردت عليها وهي محترقة داخليا: صباح الخير، يا خالتي سعاد أريد أن أعتذر منك عما حدث بالأمس لأني كنت غاضبة وطبعـــا ليس من ابنك.

فقالت سعاد: يا ابنتي قد نسيت، صباح...

دون أن تكمل سعاد كلامها معها شربت ثم خرجت مســـرعة وهم ينظرون إليها.

قالت نوال: يا أُختي سعاد اعتذر عن أفعال ابنتي غيثة، مازالت لم تنضج بعد ليس لديها عقل ولا أعرف ماذا أفعل معها.

ردت عليها سعاد: لا داعي للاعتذار يا أُختي نـــوال، أنـــا لم أغضب منها لأنّها مازالت صغيرة، سوف تكبر وسوف تصبح كما

تريدين، لا تقلقي، هيا، سوف أوقظ أبنائي لنناول وجبة الإفطار معكم وهي الأخيرة ثم نودعكم..

فقالت نوال: ماذا!؟ لماذا تريدين أن اذهبوا بعد وجبة الإفطار؟ يا أُختي سعاد لا داعي لأن تتعبي في التحدث، لن يذهب أبناؤك إلا إن وجدتي منزلا، منزلنا نور عندما أتيتم.

ردت عليها سعاد: شكرا جزيلا ولن أنسى خيركم علينا.

استيقظ كل من في المنزل ثم أخذوا وجبة الإفطار في سعادة وحب على الرغم أن مازالت أنظار صفية وغيثة الأنانية حول سعاد وابنيها، لكن بالمقابل كانت عيون محمد ونوال مليئة بالفرح وبالحب، كأن صفية وغيثة ليسوا من أسرة محمد ونوال لأنهن مختلفتين عنهما، وبعد أن انتهوا من وجبة الإفطار خرجت سعاد برفقة نوال إلى الخارج على أمل أن تجد منزلا للكراء من أجل أن تعيش فيه هي وأبناؤها. وأما حمزة وأناس بقوا مع محمد في المنزل.

بعد ساعات طوال من البحث أخيرا رجعت سعاد ونوال إلى بيت عائلة نوال ولديهن خبر سعيد فهو؛ أن أخيرا وجدت سعاد منزلا للكراء من أجل العيش فيه رفقة ابنيها حمزة وأناس. كانت سعاد سعيدة جدا وحتى حمزة وأناس فرحوا عندما سمعا الخبر.

قال محمد لهم: أنا سعيد من أجلكم ولكن في نفس الوقت أنـــا حزين لأنكم سوف ترحلوا من هذا المنزل، هذا المنزل أصبحت فيه الفرحة حينما أتيتم إليه.

ردت عليه سعاد بالابتسامة المليئة بالحب: شكرا جزيلا لك يا عمي محمد، لكن لا داعي للحزن لأننا سوف نزوركم في المناسبات فقد أصبحتم عائلتنا الثانية، وانتم سوف تزورونا في منزلنا الجديـــد حين تتحسن أمورنا.

فقالت نوال: أكيد أنكم أصبحتم جزءًا من أسرتنا وأكيد أننا سوف نزوركم، ولكن ليس إلى أن تتحسن أموركم وانا منذ غـــد سوف اذهب عندكم لكي أساعدكم.

ردت عليها سعاد: شكرا جزيلا لكم يا أُختي نـــوال، لا أدري كيف سأرد جميلكم هذا الذي فعلتموه معنا.

قال محمد: يا ابنتي سعاد عليك بأن تحذري ألا تكونوا بخير لأننا نريد أن تكونوا بخير دائما.

فنظروا إلى بعضهم البعض كل من سعاد وابنيها ونوال ومحمد نظرة حب وفرح، وأما صفية وغيثة كانتان تنظـــران إلـــيهم ثم إلى بعضهما البعض بأنانية، تناولوا وجبة الغذاء مع بعضـــهم الـــبعض

للمرة الأخيرة قبل أن يغادر، منزل أسرة نوال إلى المنزل الجديد كل من سعاد وابنيها حمزة وأناس، على الرغم أنهم أتوا إلى بيت أسرة نوال ليلة الأمس فقد أحسوا أنهم صار لهم فترة طويلة وهم في هذا البيت لأنهم قد أحسوا بالحب الكثير في عيون محمد ونوال، واستعدوا به رغم نظرات غيثة وصفية لأن الحب يقتل فيروس الكراهية.

أخيرا صار يجب أن يخرجوا من هذا البيت يعني أن أخيرا جاءت لحظة الوداع، كانت صعبة للغاية لدى سعاد وابنيها ولكن هذه هي الحياة لازم يكون الفراق حتى بين الآباء وبين الأبناء لكي تستمر الحياة بالنجاح، حتى محمد ونوال كان صعبا عليهما الوداع لدرجة أن محمد قد بكي عندما ودع حمزة، وقد تأثر حمزة بفعل محمد، فخرج كل من سعاد وحمزة وأناس من بيت العائلة التي فتحت باب بيتها أمام وجوههم والتي صارت عائلتهم الثانية، كانت برفقتهم نوال لتساعدهم على الدخول إلى

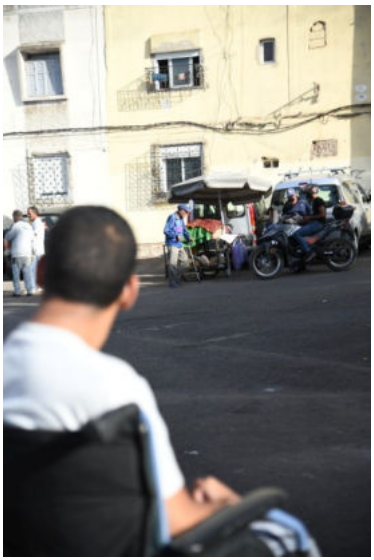

المنزل الجديد، وكانت نوال نريد من ابنتها غيثة أن تذهب معهم ولكنها فرضت الذهاب معهم.

وعندما وصلوا إلى الحي الذي فيه المنزل ونزلوا من سيارة الأجرة في شارع ليس بعيد عن المنزل، نظروا حولهم وتسألوا أنفسهم: ماذا سيحدث لهم في هذا الحي؟

وخاصة سعاد كان لديها تخوف أن يحدث لها مثل ما حدث لها في مدينة الدار البيضاء، وأما حمزة كانت عيناه على مرأة تبيع الخبز في الشارع. فاستمروا في المشي إلى جهة المنزل الجديد وكانت في استقبالهم عند باب المنزل شامة وهي صاحبة المنزل، ويبدو أنها إنسانة ليست رحيمة، فنظرت إليهم بنظرات غريبة، ألقوا عليها السلام فردت عليهم السلام ولكن بسلوك ليس جيدا ثم فتحت لهم باب المنزل لكي يدخلوا حقائبهم التي لم تكن كثيرة، وبعدما انتهوا من ذلك أدخل أناس حمزة، أما شامة بقيت في الخارج بانتظار سعاد. فرجعت عندها سعاد مبتسمة.

قالت سعاد: شكرا جزيلا لك يا أُختي لأنك فتحت لنا باب بيتك.

ردت عليها شامة: عفوا يا سعاد، لكن أريـــدكم أن تحـــافظوا عليه، وإن أردتم الرحيل تتركوه كما وجدتموه، وأريـــد أن تكـــون نقودي جاهزة كل رأس الشهر ولا تتأخري علي في الأداء.

أجابتها: حسنا يا سيدتي.

ثم صعدت شامة إلى الطابق الثاني حيث تسكن. فنظرت سعاد إلى المنزل وكأنها ترى نفسها أن بالأمس كانت تعـــيش في منزلهـــا بكرامة ولكن اليوم ستعيش في منزل ملك لأناس آخـــرين بســـبب ظلم الذي أحست به لدى جيران الماضي أو لدى النـــاس الـــذين كانت تعاملهم كعائلة لأنّها فقط امرأة أرملة، هذه النظرة الســـيئة مازالت في بلدنا أو في بعض الدول، والتي دين الإسلام لا يسمح بها لأن المرأة في الإسلام لديها مكانة عظيمة، لكن بعض مثـــل هـــذه النظرات جعلت الآخرين يفكروا بطريقة خاطئة عن المرأة المسلمة.

لقد دخلت سعاد إلى المنزل، وبدأوا في تجهيزه ليعيشـــوا فيـــه بمساعدة نوال، ونوال لم تبتعد عن سعاد منذ يوم الأمس من أجـــل مساعدتها، هذا ما يتميز به الشعب المغربي ولكن في هـــذا العصـــر بدأت هذه الميزة تختفي من المجتمع المغربي إلا بعض الناس مـــازالوا يملكون هذه الميزة مثل نوال وأبيها محمد.

وبعد ساعات من تجهيز المنزل فقد تعبوا وشعروا بالجوع، أرادوا أن يشتروا الخبز فتذكر حمزة تلك السيدة التي تبيع الخبز في الشارع، فأخبرهم حمزة بأمر السيدة بائعة الخبز، وأمرها لم يذهب من باله منذ أن رآها، فأعجبت نوال الطريقة التي يتواصل حمزة بها.

قالت لسعاد: يا أُختي سعاد جيد أن حمزة يتحدث معكم عبر الكتابة، ولكن في نفس الوقت أنا متفاجئة عن كيف تعلم القراءة والكتابة، نعم أعلم أنه توجد مراكز خاصة بالأشخاص في وضعية إعاقة، ولكن كيف؟

ردت عليها: لا، لم يتعلم حمزة في المدرسة بل قد تعلم بفضل الإنترنت بواسطة الهاتف. نعم هذا الأمر غريب ولكن حمزة حارب الأمية بالهاتف، في أول يوم كتب لي فيه جملة أول مرة كم بكيت بدموع الفرحة لأني ارتحت من ناحية لأنه صارت لديه طريقة لكي يتواصل مع الآخرين الحمد لله، بالنسبة إلى هذه المراكز نعم توجد ولكن لا يوجد تعليم للمعاقين وخاصة الأشخاص الذين لديهم مرض مثل مرض ابني حمزة، وفقط هذه المراكز لرعاية الأطفال في وضعية إعاقة ذهنية، ولكن في السنوات الأخير بفضل بعض الجمعيات الحقوقية قد نظرت الحكومة قليلا إلى تعليم ذوي الإعاقة،

على الرغم من ذلك فإن هذا غير كاف والمغرب مازال متـــأخرا في مجال الإعاقة، وليس فقط في حق التعليم بل جميع الحقوق.

وقالت نوال: ما شاء الله على ابني حمزة، ولو كان في إحـــدى الدول الأوروبية يكون يدرس بل ستكون لديه وظيفة ولكن للأسف الشديد، والآن انه يتحدث معكم عبر هذه الوسيلة وهذا أهم شيء. يا ابني أناس هيا اخرج معي كي تجلب الخبز وآخذ سيارة أجرة لأني أريد أن أذهب إلى بيتي..

قاطعتها سعاد قائلة: ولكن يا أُختي نوال إلى أين تريـــدين أن تذهبي؟ انتظري حتى تتناولي معنا الشاي ثم اذهبي.

ردت عليها: لا يا أُختي، يجب أن أذهب لأني قـــد تـــأخرت كثيرا، لكن غدا صباحا سوف ارجع عندكم لكي أتنـــاول وجبـــة الإفطار معكم ثم نخرج من أجل البحث عن عمل لك كما وعدتك.

خرج أناس ونوال من أجل أن يجلب أناس الخبز وأن تـــذهب نوال إلى بيتها. كان حمزة ينظر إلى نوال كأنه يريد أن يقول لها شيئا ولكن لم يستطع.

فقال في نفسه: يا خالتي نوال لديك حق بأنني كنت في إحدى الدول الأوروبية ستكون لدي نفس حقوق الموطن الطبيعي ولـــيس

أقل ولن أكون عالة على والدتي ولن يكن مستقبلي مجهولا مثل الآن ولكن للأسف الشديد...

وكان حزينا جدا.

بعدما وصلا، أناس ونوال عند بائعة الخبز وقف عندها أناس لكي يشتري الخبز وأما نوال اقتربت من الطريق لكي تأخذ سيارة أجرة، اشتري أناس الخبز ثم ودع نوال. في نفس الوقت حينما كانت نوال تودع أناس فقد رأت زوجها السابق في السيارة ومعه امرأة وطفل، يبدوا انهم أسرته الجديدة وكانوا سعداء جدا. والزوج كأنه ليس لديه طفلة أخرى في انتظاره ولم يتخل عن الإنسانة التي كانت في حاجة ماسة إليه. هذا النوع من الرجال موجود في المجتمع كل ما يجب قوله عنهم هو: لا يستحقوا أن يكونوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا أن يكونوا ينتموا إلى أي دين ولكن رغم ذلك فهؤلاء الرجال في أغلب الأحيان يعيشوا في المجتمع في راحة تامة وسعادة كاملة، لأنهم لا ضمير لديهم مثل زوج نوال السابق يبدو أنه يعيش في سعادة لأنه وجد مرة أخرى امرأة مثله لكي تلبي له كل رغباته دون أن يؤلمه ضميره في جهة نوال وابنتهما غيثة. ابتعدت السيارة عن نوال ولكن مازالت في ذهنها الصورة أن

زوجها السابق مع امرأة أخرى، كانت تحترق من داخلها ولكـــن لا تستطيع أن تنزل ولو دمعة واحدة لأن عيناها لم تعد تذرف الدموع بعد من كثرت ما بكت من قبل. جاءت سيارة الأجرة ثم ركبـــت نوال.

في العودة إلى سعاد وابنيها، رجع أناس ثم شربوا الشاي وبعد أن انتهوا من الأكل أكملت سعاد بعض الأعمال المنزلية ثم ذهبـــوا إلى النوم، ولكن سعاد وحمزة لم يستطيعا أن يناما في هذه الليلة أيضا وليس بسبب أن المنزل جديد فقط، بل هما ظلا طوال الليل يفكران وذلك السؤال الذي على بالهما منذ ليلة الأمس هو " ماذا سيحدث لنا في هذه المدينة؟ "، كل واحد منهما كان يفكر في الجهة الأخرى، كانت سعاد تريد أن تعمل في أقرب وقت ممكن من أجل أن تـــوفر لأبنائها العيش الكريم كما في السابق رغم أن العيش لم يكن جيـــدا ولكن الحمد لله كانوا يعيشوا بخير، وأما حمزة كان يفكـــر بكيـــف يعمل رغم إعاقته الصعبة، في الحقيقة أن إعاقته ليست هـــي ســـبب الرئيسي الذي سيكون أمامه بل نظرة المجتمع لأن الإعاقـــة مجـــرد عجز عند الإنسان سوء كان جزئي أو كان كلي وذلك سواء كان على مستوى الجسم أو كان على مستوى الذهن يستطيع الإنســـان أن يعيش مع العجز والإعاقة ليست هي النهاية، صحيح أن إعاقـــة حمزة جد صعبة ولكنه يستطيع أن ينتصر عليها، إن نظرة المجتمـــع

هي التي من الصعب التحدث عنها بشكل عام لأن لكل مجتمع نظرته الخاصة به ليست مثل ما لدى الآخر بل هي مختلفة تماما :لا نقصد أن المجتمع واحد في جميع الدول بل نقصد أن هناك العديد من النظرات في المجتمع الواحد في الدولة الواحدة مثل المغرب، صحيح أننا نعيش في مجتمع واحد ولكنه ينقسم إلى العديدة من الفئات الاجتماعية، الطبقات الاجتماعية، ولكل فئة رؤية للحياة تختلف تماما عن رؤية الآخرين حسب وضعيتها الاجتماعية، لدرجة أن الشخص لديه النظرة السيئة لحياته، ولن نسيء بمعتقدات بعض الناس ولكن يجب أن تتغير بعض النظرات التي تفسد مجتمعاتنا، وخاصة النظرة للمعاق وللمرأة الأرملة أو المطلقة، هذا هو حال سعاد وحمزة حينما كانت نوال تبكي وتحترق بصمت في منزلها بسبب المرض الذي ليس لها أي ذنب فيه وفقط قدره الله تعالى عليها لكي يختبرها في هذه الدنيا وهي قد نجحت في هذا الامتحان، ولكن زوجها لم يستطع أن يحتمله لذلك تخلى عنها وعن ابنتهما وذهب إلى البعيد مما جعل قلب نوال ينهار تماما، نوال لم يضعفها المرض ولكن فعل زوجها السابق عندما كانت مريضة أضعفها وقضى عليها بالكل وفقط مازالت واقفة وصامدة من أجل ابنتها غيثة.

في الصباح بالفعل رجعت نوال عند سعاد لكي تتناول معهم وجبة الإفطار وبعدها تخرجان من أجل البحث عن العمل، وكانت برفقتها ابنتها غيثة، والأخرى لم تكن تريد أن تذهب معها ولكن بعد أن ظلت نوال تلح على ذلك بشدة فقد وافقت غيثة. وبعدما دخلت نوال إلى المنزل الذي أخذته سعاد ساعدت سعاد في تجهيز وجبة الإفطار، وهي كانت أحضرت معها شيئا من منزلها قبل أن تأتي عند صديقتها سعاد.

وبعد أن انتهوا من أكل وجبة الإفطار كانت سعاد ونوال تريدان أن تخرجا من المنزل من أجل أن تبحثان عن عمل لسعاد ولكن نوال اقترحت على سعاد فكرة أن حمزة وأناس يخرجان مع غيثة من أجل أن يكتشفا مدينة طنجة وأن يستمتعا بوقتهما لأنّهما رأتهما حزينين قليلا وخاصة حمزة ولكن سعاد لم تعجبها هذه الفكرة لأن غيثة لا تستطيع أن تكون مرتاحة مع حمزة وأناس وخاص بعد ما فعلته ليلة الأمس في منزلهم. بالفعل ما توقعته سعاد كان صحيحا فغيثة لم تكن تريد أن تخرج مع أبناء سعاد. نعم إن حمزة حزين كثيرا ولكن هذه الفكرة التي اقترحتها نوال لا يمكنها أن تهدأ نار الغضب التي في قلب حمزة وسببها خصوصا هي نظرة المجتمع وهنا نقصد كل مكونات المجتمع، فاقترح أناس بأنه يخرج مع حمزة ليس بعيدا عن المنزل وخاصة أن منزلهم الجديد يوجد قربه شاطئ مدينة طنجة.

فوافقت سعاد بشرط أن يأخذا معهما الهاتف من أجل أن تطمئن عليهما. ثم ذهبت نوال وسعاد من أجل البحث عن العمل، وغيثة أيضا غادرت المنزل لأنّها لم يكن عليها أن تبقى مع حمزة وأناس.

وبعد ساعة من ذهاب سعاد ونوال خرج كل من حمزة وأناس من أجل أن يكتشفا محيط المنزل الذي أخذوه، وأناس كان يقود كرسي حمزة المتحرك. كل ساعة أو كل دقيقة تتصل بهما سعاد لكي تطمئن عليهما وهذا الأمر يزعج حمزة وأناس قليلا، لكن هذا هو قلب الأم ودائما مشغول بالها على الأبناء وخاصة إذا كان الابن في وضعية إعاقة دائما تخشى أمه أن يحدث له مكروه. اللهم لا تحرم أي ابن من أمه ومن حنانها وحبها في قيد حياتها. حمزة وأناس قد أعجبتهما مدينة طنجة رغم أن معاملة بعض الناس بسبب أنهما غرباء عن المدينة معاملة ليست جيدة ولكن ليس كل الناس: بعض الناس التقوا بحمزة وأناس نظروا إليهما بالابتسامة وخاصة حمزة ولكن توجد أيضا نظرة الشفقة كثيرا فيما يخص حمزة، وهنا يجب أن نتوقف قليلا، إن نظرة الشفقة هي جزء من إنسانية الإنسان للآخر فلا يمكننا أن نقول أنه لا يجب أن تكون بالكل ولكن في نفس الوقت لا نسمح لها أن تكون هي الأساسية ؛ أن الشخص في وضعية إعاقة إنه مسكين ويجب الإحسان إليه ويجب أن نرعى الشخص في وضعية إعاقة مثل الرضيع الذي ولد في هذا العالم لكي

يبقى رضيعا، ربما هذا صحيح من الناحية الجسدية ولكن من الناحية الروحية هذا ليس صحيحا بالكل، والشخص في وضعية إعاقة رغم درجة إعاقته يستطيع أن يقدم شيئا إلى وطنه وإلى الآخر ولو حبه فق... استمر حمزة وأناس في اكتشاف مدينة طنجة ومازالت سعاد تتصل بهما، وهي الأخرى مازالت تبحث عن العمل برفقة نوال ولكنهما لم تجدا ولو شيء تجريبي.

وبعد ساعتين من الاكتشاف فقد مرا حمزة وأناس من أمام تلك السيدة التي تبيع الخبز في الشارع بالمناسبة اسمها يامنة. فطلب حمزة من أناس الوقوف قليلا، بالفعل وقفا وبدأ حمزة ينظر إلى السيدة يامنة، يبدو أن هناك فكرة تدور في ذهنه ولكن لم يتحدث عنها مع أي أحد بعد، عندما أحس حمزة بأنها لاحظت وجوده أعطى أناس إشارة بأن يجب أن يذهبا، ثم غادرا المكان ورجعا إلى المنزل وبعد دقائق قليلة من رجوعهما رجعت سعاد بعد ساعات طويلة من البحث عن العمل ولكن دون نتيجة، هكذا مر اليوم الأول في مدينة طنجة وبهذا قد بدأت حياتهم الجديدة.

ظلت سعاد تبحث عن العمل لأيام طويلة برفقة نوال، ونوال لم تبتعد عن أسرة سعاد ولو ثانية واحدة منذ قدومها إلى مدينة طنجة رغم أن لديها مشاكلها الشخصية هي أيضا وبعد أن مر

العديد من الأيام تلوى الأيام أخيرا سعاد وجدت عمـــلا كعاملـــة نظافة في أحدى المقاهي على شاطئ البحر لمدينة طنجـــة، وكانـــت سعاد سعيدة جدا بهذا العمل ومعها صديقتها نوال، ولكن خـــلال هذه الفترة كان حمزة غاضبا جدا لدرجة أنه كانت تنشب نزاعات كثيرة بينه وبين أناس أو بينه ووالدته سعاد أو بينه ونفسه وبعـــض الأحيان بدون سبب، هذه طبيعة الإنسان الذي لا يعيش كمـــواطن طبيعي وبلا هدف وبلا سبب وجود.

أصبح حمزة عصبيا وصعب للغاية لدرجة أن ســـعاد لم تكـــن تستطع أن تهدئه وأنه هو أيضا لم يستطع أن يهدأ نفســـه، وكانـــت سعاد كانت تتألم داخليا عندما ترى حمزة في تلك الحالة وهي تعرف أنه على حق من ناحية ولكن من ناحية أخرى لا تستطيع أن تفعـــل له شيئا. مازالت تتذكر، في طفولة حمزة، كم من باب طرقت مـــن أجل أن يدخل حمزة إلى المدرسة ولكن لم تكن الحكومة تعترف بحق الطفل وضعية إعاقة كحمزة، في التعلم مثل باقي الأطفال، رغم أن قيام الجمعيات بالدفاع عن حق الطفل في وضعية إعاقة إلى أن نـــزل البرنامج الوطني لإدماج الأشخاص في وضعية إعاقة بالتعليم مازالت هذه النظرة تمنع أم، تحرم الشخص حامل إعاقة الشلل الدماغي من حقه الطبيعي في العلم للأسف الشديد. ولكن هذه العقبة لا توجـــد فقط أمام الشخص في وضعية إعاقة في تمدرسه (التي لا يمكن أن تبدأ

إلا بعض الحالات إذا أهل الابن في وضعية إعاقة فعلوا المستحيل في سبيل أن ابنهم يحصل على حقه في التعليم) ولكن عقبة التعليم ليست وحيدة التي تعاني منها هذه الفئة بل تعاني من قلة الاهتمام بها من طرف الدولة، ليست لديهم حقوق مثل باقي الأشخاص في وضعية إعاقة في العالم، ولكن الأشخاص الذين حاملين إعاقة الشلل الدماغي يعانوا من النفي من المجالات كلها بل النفي من الحياة الكاملة التي هي حق كل إنسان، تاهت سعاد بماذا تصبر ابنها حمزة وبماذا تجيب على أسئلته الكثيرة والمتكررة كل يوم: يا أمي لماذا أنا لست مثل باقي الشباب؟ ولماذا ليس لدي أي عمل وحتى أي شهادة مهنية أو دراسية؟ هل أنا لست إنسانا طبيعيا، هكذا كان يسأل حمزة والدته سعاد.

وهي لم تكن تستطع أن ترد عليه وكانت تتألم بصمت ولكن على الرغم من ذلك كانت تقف كجدار من أجل أبنائها، وكانت تقف الى جانبها صديقتها نوال وقد ساعدتها من الناحية المعنوية كثيرا على الرغم أن لديها مشاكلها الشخصية هي أيضا

حيث إن زوجها السابق ظهر في حياة ابنتهم غيثة بعد مدة طويلة من اختفاءه عن الأنظار، وكان يتقرب منها بالسر ودون أن تعلم نوال بذلك لدرجة أنه التقى بها في السر، فقد ذهبت غيثة عند

أبيها دون أن تخبر والدها بالأمر، حين علمت نوال بكل ما حـــدث من وراءها غضبت كثيرا ولم تسمح لغيثة أن تلتقي بوالـــده مـــرة أخرى، هذا طبيعي لأنه من حقها أن تمنعه من رؤية ابنتها بعد كل ما فعله بهما ولكن في ذات اليوم قد التقت به بعد مدة طويلة، حينمـــا كان ينتظر ابنتهما غيثة بجانب مدرستها، فرأى نوال وقـــد تفاجـــأ، تفاجأ من المرأة التي رغم كل ما وقع لها من الأشياء السيئة في حياتها مازالت قوية وواقفة.

قالت له: السلام عليكم يا يوسف، لماذا أنت هنا؟

رد عليها بكل وقاحة: وعليكم السلام يا نوال، كيف حالك؟ أنا هنا لكي أرى ابنتي.

فقالت بغضب: أي ابنة؟! هل التي تخليت عنها وعـــن أمهـــا؟ إنساني أنا فق أصبحت في نظرك امرأة غير كاملة، ولكن لماذا تخليت عن ابنتك الوحيدة؟ أو أليست وحيدة؟ أنا رأيتك ذات يـــوم مـــع أسرتك الجديدة.. ممنوع من الاقتراب من ابنتي لأنّها ابنتي أنا فقـــط وليست ابنتك. رغم كل ما فعلته بي فقد اســـتطعت أن أتجـــاوزه بفضل حب ابنتي، ولكن ظهورك الآن في حياتنا تســـبب بتفتـــيح الجراح التي عالجها طول الزمن وأنسانيها.. أرجوك يا ســـيدي أن تعود حيث كنت.

رد عليها بأنانية: ليس عدلا تحريمي من غيثة لأنّها ابنتي أيضا كما هي ابنتك، بالنسبة إلى علاقتنا كانت جميلة ولكنها لم تنجح مثل بعض العلاقات.

فضحكت نوال بشدة بعد أن كانت متعصبة، فتفاجأ من فعلها هذا.

وقالت: أضحكني كلامك هذا، طيب يا سيدي لا يجب أن أحرمك من ابنتك بل هي التي لا يجب أن أحرمها من أبيها، ولكن لدي شرط ؛ أنها مازالت لم تتجاوز سن الثامنة عشرة وبما اني مازلت مسؤولة عنها، يجب أن تنتظر حتى تكمل عشرين سنة حينها يمكنك أن تلتقي بها، إذا سامحتك، رغم كل ما فعلته بها فهي حرة، وأما الآن فممنوع أن تقترب من ابنتي، إذا اقتربت منها مرة أخرى قبل أن تبلغ عشرين سنة سوف أبحث عن منزلك الجديد من أجل أن أخبر زوجتك الحالية عن كيف تخليت عن زوجتك السابقة لأنّها فقدت ثديها وعن ابنتك أيضا، وليست الوحيدة من سأخبرك بل سوف أخبر أيضا كل جيرانكم.

نظر يوسف إلى نوال نظرة استغراب، في ذلك الوقت خرجت غيثة من مدرستها وفرحت حينما رأت أبيها مع أمها في انتظارها، وهما أيضا رأوها ولكن يوسف غادر خشية من نوال أن تفعل ما

قالته له، فنادته غيثة ولكنه لم يرد عليها فحزنت، نظرت نوال إليه ثم إلى غيثة، فغضبت غيثة من أمها لأنّها عرفت أن أبيها قد ذهب بسبب أمها.

بالفعل فأن يوسف قد أبتعد عن حياة ابنته غيثة نهائيا بسبب ذلك أشتد الصراع بينها وبين والدتها نوال لأنّها كانت تظن أن أبيها قد أبتعد عنها بسبب والدتها، ربما هذا الاعتقاد فيه شيء من الحقيقة ولكنها لم تكن تعرف أن أبيها فضل حياته الجديدة على الاقتراب منها وفضل أن يكون بخير مع أسرته الأخرى على أن يدخل في صراع مع والدتها نوال من أجلها. وتطور الأمر بغيثة أن قاطعت الكلام مع والدتها نوال لأيام.

قد مرت سبعة أشهر منذ قدوم سعاد وابنيها إلى مدينة طنجة بدأوا يحبون حياتهم الجديدة، ولكن لم يفتحوا قلوبهم لجيرانهم الجدد خشية أن يحدث لهم نفس الأمر الذي حدث في مدينة الدار البيضاء. كان باب بيتهم دائما مغلقا لدرجة أن بعض النساء كن ينعتن سعاد بالمرأة المتكبرة، بهذا تبدأ سعاد تتعرض للظلم من جديد ولم يعرفوا ما حدث لها مما جعلها تتصرف هكذا. وسعاد لم تفتح قلبها لأي جارة أو صديقة إلا نوال وهن كن أعز الصديقات ويساعدن بعضهن في جميع العقبات التي تواجه إحداهما، هذه هي

الصداقة الحقيقية التي نشأت أساسا من الاحترام والتقـــدير ومـــن التعاون وحب الأخوة وليس من الضروري أن نكون إخوة من نفس الأم ونفس الأب.

كان حمزة جد متعصب لدرجة أنه صارت في قلبـــه الكراهيـــة اتجاه حكومة بلده لأنّها لم تفعل شيئا في مجال الإعاقة بالتالي لم تفعل له شيئا في حياته من أجل أن يحصل على حياة محترمة مثـــل بـــاقي الشباب (ولكن بعض الشباب رغم أنهم ليس لديهم أية إعاقـــة لم يجدوا مستقبلا جيدا في بلدهم بسبب أن أهاليهم ليسوا أغنيـــاء أو ليس لديهم أصدقاء يساعدونهم على قضاء مصالحهم) ما يجـــب أن يكون هو أن كل شاب سواء كان لديه إعاقة أو ليست لديه وسواء كان ابن عائلة غنية أو كان ابن عائلة فقيرة من حقه أن يحصل على عمل يشتغله في هذه الدنيا، وليس من الضروري أن يكون الهـــدف من وراء هذا العمل الربح المادي فقط بل أن يحافظ على الكرامـــة وماء الوجه... نعم ضروري أن يكون الهدف المادي قليلا ولكن لا يخرج عن المعقول مثل السمكة لا يمكن أن تخـــرج مـــن وســـطها الطبيعي، بل الهدف العظيم هو أن يحصل على معنى لحياته أو بمعـــنى آخر أن يحصل على سبب لوجوده على سطح هذا الكون، هذا هو الذي يسعى إليه ويريده حمزة لأنه مؤكدا أن نظرة الناس من حولـــه ليست صحيحة، وهو أيضا يجب عليه أن يخدم بلده بحب وإخلاص.

مرت الأيام تلوى الأيام وحمزة في نفس الحالة مما جعل حمـــزة غاضبا كثيرا فكانت نار الغضب تشتعل من أقل شيء فكانت سعاد لا تستطيع أن تهدأه وحتى حمزة لا يستطيع أن يتحكم في نفسه.

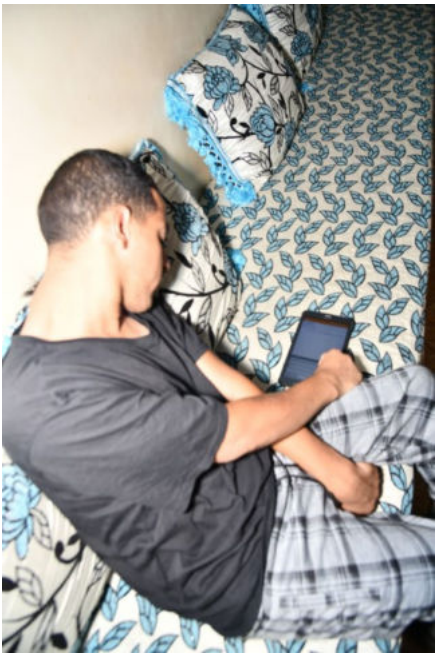

وذات يوم سمعوا خبرا بأن السيدة بائعـــة الخبـــز أصيبت بمرض شديد باتـــت معه لا تستطع أن تبيـــع في الشارع. طبعا هـــذا الخـــبر أحزنهم وكذلك حمزة حزن أيضا لهذا الخـــبر ولكنـــه في نفس الوقت فكر في فكرة، هذه الفكرة ستكون لـــيس فقط في مصلحة السيدة وإنما أيضا في مصـــلحة حمـــزة: يمكنها أن تخرجه من هذه الوضعية السيئة. على الرغم من أن هـــذه الفكرة صعبة بسبب إعاقته فإنه يريد أن يحققها على أرض الواقـــع ولكن هذه الفكرة فكر بها بعد أن أغلقت كل الحلـــول في وجهـــه وهو في نظره يجب أن تكون لديه وظيفة في أي إدارة هذا أقل مـــن الحقوق التي تشير إليها الأمم المتحدة.

لقد بدأ في التخطيط للكيفية التي سيقوم بها بهذا العمل، ولكنه لم يكن يريد من والدته سعاد أن تعلم بهذا الأمر، لأنها إذا علمت به سوف تمنعه من تحقيق الفكرة لأنّها ترى انه يجب أن يبقى حمزة طول حياتها تحت مسؤوليتها وحمايتها سواء من الناحية المادية أو المعنوية: يعني أنه يجب عليها إلى الأبد، أن تلبي كل احتياجاته ومنها الأمـــور المادية. وعند ولادته أصبحت لديها مهمة وحيدة وهي أنها تكون الى جانبه طوال حياته وطوال حياتها، لدرجة أنها تمنت أن يموت قبل أن تموت لأنه سوف يضيع بعد رحيلها: كانت تظن ذلك،. بالفعل أن بعض مخاوفها صحيحة ولكن على الرغم من هذه الوضعية فمن حقه وواجب على المسؤولين أن يحصل على فرصة لكي يبـــين مواهبـــه وقدراته التي يتميز بها والتي هو محروم من إظهارها بسبب شـــكله ونظرة المجتمع إلى الشخص في وضعية إعاقة. يوجد هناك العديـــد من الأشخاص حاملين إعاقة الشلل الدماغي قد نجحوا في حيـــاتهم بالعالم، وحتى في المغرب ولكن هذا بفضل اجتهاد أهاليهم والظروف المادية الجيدة.

استمر حمزة في التفكير وبعد وقت طويل من التفكير قـــرر أن يخبر أخاه أناس بفكرته بواسطة الكتابة ولكن أناس لم يوافق علـــى مساعدته في تحقيق فكرته عندما تحدث معه عنها في الأول، وبعـــد

وقت طويل من النقاش استطاع حمزة أن يقنع أناس في أن يساعده في تحقيق فكرته، وبعدها تحدثا عن الكيفية.

بعد بضعة أيام، ذات صباح أعطى حمزة إلى آناس بعض المال الذي كان يجمعه. أخذ أناس الظرف ثم خرج من المنزل. أما حمزة فكان ينتظر وكله أمل كأنه سيحصل على الفرصة الكبيرة التي يمكنها أن تغير حياته.

ذهب أناس إلى منزل بائعة الخبز يامنة ويبدو أنه لم يكن يريد من أحد أن يتعرف عليه، فوضع الظرف والنقود تحت باب منزل يامنة وبسرعة غادر المكان.... فتحت يامنة الباب ثم رأت الظرف والمال، استغربت من الأمر وسألت نفسها: من وضع هذه الرسالة وهذه النقود؟ ولماذا؟!.

ثم دخلت منزلها وبعدها فتحت الظرف ثم بدأت في قراءة الرسالة.

وقال حمزة في الرسالة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يا سيدتي يامنة نتمنى أن تكوني بخير عندما تقرأين هذه الرسالة، يا سيدتي علمنا أنك تعرضت إلى حادثة وبسببها أصبحت لا تستطيعين أن تبيعي الخبز في الشارع، أولا الحمد لله على سلامتك، يا سيدتي

لدينا عرض لك وهو أن تحضري الخبز في منزلك ثم تبيعيه لنا، ونحن سوف نعيد بيعه في الشارع، وأكيد أن وجدت برفقة هذه الرسالة بعض النقود وهي نقود الطلبية الأولى لتعرفي أننا جديين، ولكن نفضل أن تضل هويتنا مخفية، أتمنى منك أن تحترمي هذا الأمر.

لم تأخذ يامنة الوقت في التفكير بل بسرعة وافقت على الفكرة لأن وضعيتها المادية قد تراجعت، وزوجها أيضا مريض ولم يغادر سريره لمدة طويلة.

فكرة حمزة بالنسبة إلى يامنة كمخرج من أزمتها كانت جد رائعة. بعد أن ترك أناس منزل يامنة، ذهب إلى أحد النجارين وتحدث معه لمدة قصيرة ثم غادر إلى المنزل.

في صباح اليوم التالي، كالعادة وكما كانت تفعل سعاد في مدينة الدار البيضاء فهي قامت بتقديم وجبة الإفطار إلى حمزة ولبت له احتياجاته قبل أن تذهب إلى عملها. وبعد أن أعطت سعاد حمزة وجبة الإفطار لم يكن يريد أن يرجع إلى النوم لأنه كان لديه خطوة في ذهنه رنوي القيام بها. ذهبت سعاد إلى عملها ثم استيقظ أناس من أجل الذهاب إلى المدرسة، على رغم الهجرة من مدينة الدار البيضاء إلى مدينة طنجة والظروف القاسية التي كانت تعاني منها الأسرة، فأناس لم يتوقف عن دراسته لأن سعاد تريده أن يصل إلى

الوظيفة التي طالما تمنتها أن تكون وظيفة أحد أبنائها ولكن للأسف أن حمزة لم يستطع أن يحقق لها ذلك الحلم. لذا فحمزة هو أيضا يريد من أخيه أن ينجح وأن يصل إلى ما لم يصل إليه هو (ليست إعاقته هي السبب الرئيسي أنه يعيش بلا هدف وبلا مستقبل الذي يجب أن يقوم به حسب قدراته المعرفية وحسب ما تعلمه بل الكل مسؤول في أن هذا الإنسان لم يأخذ حقه في التعليم والتكوين، طالما أن الإنسان يعيش يجب أن يكون لديه الأمل بأن غدا أفضل) لهذا يريد حمزة أن ينجح أخيه أناس في حياته وان يحقق ما لم يستطع هو أن يحققه، وأناس حتى هو الآخر يريد أن يستمر في دراسته لأنه كان يؤمن بأن الشهادة الدراسية أو المهنية هي الوسيلة لكي يعمل سواء في الوظيفة العمومية أو في القطاع الخاص أو في أي مجال أخر، على الرغم انه يعرف أنه يوجد العديد من الشباب حاملي الشهادات العلمية العليا عاطلين عن العمل للعديد من الأسباب الاجتماعية، أو بسبب سياسة الحكومة، ولكنه يؤمن بأن العلم الذي تعلمه سوف يستفيد منه في كل الأحوال حتى لو لم يعمل به بالضبط ويؤمن بفكرة أن الإنسان المثقف والمتعلم أفضل من الإنسان الغير متعلم، وكان يريد أن ينجح في حياته من أجل أن يحقق أحلامه ومن أجل أن يخرج والدته سعاد من بئر المعاناة ومن أجل أيضا أن يساعد أخيه حمزة وسيتحقق ذلك بتوفير العيش الكريم له. ولكن هذه الفكرة

الأخيرة حمزة يعارضها بشدة، لا يريد من أخيه أنـــاس أن يتحمـــل مسؤوليته من الناحية المادية... صحيح أن التعاون بين الإخوان هو واجب ولكن لا يعني انه يجب على الأخ أن يتحمل مسؤولية أخيـــه كاملة حتى لو كان أخيه في وضعية إعاقة هذا الأمر عبارة عن دليل حبه لأخيه كان هذا من بين الأسباب التي جعلت حمزة يفكر ببيـــع الخبز وتمنى أن هذه الفكرة تنجح من أجل هذ الأمر ومن أجل أمور عديدة.

عندما خرجا من المنزل كانت في مراقبتهما شامة فاستغربت من خروج حمزة مع أخيه في ذلك الوقت من الصباح وهـــي الأخـــرى كانت تراقبهم عن بعد دائما لأنّها كانت تخشى من أنهم يشـــوهوا منزلها وخاصة حمزة. خرج حمزة من المنزل وهو لديه أمل كبـــير في فكرة بيع الخبز، ولكن إذا رأيتموه حينها تقولون إنه لا يستطيع أن يعمل ولو شيء بسيط إذا لا تحكموا عليه في الأول من خلال شكله لأنه حامل إعاقة ذهنية (رغم أن إعاقة ذهنية حـــتى هـــي ليســـت واضحة في تعريفها وأظن بأنه يجب أن يوضع لها تعريف جديد. يبقى هذا مجرد رأي شخصي مع احترامنا للأطباء) حتى حمزة يعرف ذلك وحين يرى نفسه في المرآة يقول: هذا الإنسان لا يستطيع فعل ولو شيء بسيط إذن لماذا يعيش في هذه الدنيا؟ ويتألم داخليا ولكنـــه لم يستسلم بل استمر في طريق المجهول والطريق لم يـــدري إلى أيـــن

يوصله بل ممكن أن يوصله إلى مشاكل عديدة رغم ذلك استمر في هذا الطريق من أجل كل الأسباب المذكورة سابقا، وأما أناس كان يعرف أن حمزة لا يستطيع أن يبيع وممكن أن الناس يسيئون إلى والدهم عبر هذه الفكرة ولكن لم يستطع أن يقول لأخيه * لا *، وصلوا إلى المكان الذي حمزة سيبيع الخبز فيه، قريب من الشاطئ بمدينة طنجة، ساعد أناس حمزة على الاستعداد لبيع الخبز ثم ارتدى حمزة القلادة المصنوعة من البلاستيك والمرتبطة بورقة مكتوب فيها مرحبا!، الخبز ب 2 دراهم) حان الوقت الذي يجب على أناس أن يذهب فيه إلى مدرسته فقد غادر.

ولكنه في منتصف الطريق وقف وصار ينظر إلى حمزة من بعد.. يبدو أنه ندم على اتباع حمزة في فكرته ويبدو أنه يريد أن يرجع عنده لكي يرجعه إلى المنزل ولكنه لم يستطع الرجوع لأن حمزة لن يوافق على ذلك دون تحقيق هدفه.

فتأخر الوقت عن مدرسة أناس مما جعله يذهب إلى المدرسة وترك أخاه حمزة يواجه مصير فكرته بنفسه. وفي ذلك الوقت كانت سعاد في عملها بالمقهى ويبدو أنها متعبة للغاية ومع العلم أن سعاد تعاني بصمت من أمراض عديدة بسبب أنها تلبي لحمزة كل احتياجاته وهو قد أصبح رجلا بالطبع ومازال قلبها يتألم من ما تعرض إليه من طرف جيرانها القدماء في مدينة الدار البيضاء ولكنها لا تقول (قد تعبت ولا هذا كثير علي) بل إنها تقاوم وتناضل من أجل أبنائها وخاصة حمزة الذي يحتاج إليها كثيرا واستمرت في عملها وفي ذلك الوقت كان حمزة في الشارع يبيع الخبز، وكما توقع أناس بعض الناس لم يقبلوا الفكرة حول أن شخص مثل حمزة يبيع الخبز وبعض الأحيان كانوا يلوموا عائلته على هذا وأناس آخرين كانوا يحاولون منحه النقود دون أن يشتروا من عنده شيئا، هذا أغضب حمزة كثيرا لأنه يريد أن يعمل ولا يريد الشفقة من أي أحد.

وفي منتصف النهار رأى شاب غريب حمزة ثم اقترب منه وهو مبتسم لقد رأه حمزة وبدون كلام عانقه مثل عناق الأحباب أو الأصدقاء فتفاجأ حمزة من فعل الشاب، فحاول الشاب أن يعطي حمزة النقود ولكن حمزة رفض بالكل أن يأخذ منه وغضب، فتفاجأ الشاب ثم غادر ولكن وقف أمام شجرة بعيدة عن حمزة قليلا ينظر

إلى حمزة ويبدو أنه قد تفاجأ كثيرا، وبعد قليل ذهب. بعد لحظات مرت أمام حمزة بعض النساء وقد رأينه ووقفن.

وقالت إحداهن: انظروا إلى ذلك الفتى، حرام على أمه لأنّها أخرجته من أجل أن يعمل من أجلها، في حين هي من يجب أن تعمل من أجله... هي وليس هو.. حرام عليها.. حرام عليها، كيف تجرأت؟ هل قلبها قاسي لهذه الدرجة؟

فقالت إحدى صديقاتها: يا حنان اصمتي لأنك لم تعرفي ما هي ظروفها، ربما لديها ظروف قاسية هي التي جعلتها تخرجه إلى العمل.

تدخلت الأخرى قائلة: اصمتي أنتِ يا شيماء، أي ضرورة كان عليها ألا تخرجه من أجل أن يجلب لها النقود بل كان يجب أن تخرج لكي تعمل.

نعم إن هؤلاء النسوة ظلمن سعاد مرة أخرى وأمام أسماع ابنها حمزة... بسبب انه يريد أن يتحمل عنها القليل من المسؤولية التي تحملها، ذهبت هؤلاء النساء ولكنهن قد تركن عند حمزة جرحا كأنهن ضربوه بسكين حاد لأنه ليس لديه لسان من أجل أن يدافع عن والدته.

وفي ختام اليوم على الرغم من كل شيء أستطاع حمزة أن يدخل المداخيل وعلى الرغم من موقفه الرافض من أخذ النقود دون أن يبيع الخبز بعض الناس قد اعطوه النقود دون أن يشتروا من عنده الخبز، فرجع إليه آنس لكي يرجعه إلى المترل وفي الليل رجعت سعاد كالعادة إلى البيت فتفاجأت كثيرا عندما رأت النقود تحت الباب وأخذتها.

سألت في داخلها قائلة: يا ترى لمن هذه النقود، ربما سقطت من شخص ما، من.. من؟

فدخلت إلى البيت ومباشرة سألت أناس عن هذه النقود

وقال: لا أدري من أين جاءت، ولم أرها بالباب.

فنظر إلى حمزة وبالحقيقة إنهما من وضعها تحت الباب ولم يكن حمزة يريد أن يعطيها مباشرة لوالدته خشية أن تعرف الحقيقة. وضعت سعاد النقود في مكان آمن ة حتى يظهر صاحبها ثم مباشرة لبت احتياجات حمزة.

مر الليل وأقبل النهار فذهبت سعاد إلى عملها بعد أن لبت لحمزة احتياجاته ونادى حمزة على أناس الذي استيقظ مسرعا. وبعد قليل خرج كل من حمزة وأناس وعلى الرغم من أن حمزة عرف أن

هذا العمل صعب عليه يريد أن يستمر فيه من أجل والدته سعاد ومن أجله وأيضا من أجل أن يقول للناس انه موجود وأنه إنسان وليس إنسان ناقص ومن أجل أخيه أناس حتى لا يأتي يوم يكون على أناس أن يحمل مسؤولية أخيه حمزة، بعدما أخذوا الخبز من باب منزل يامنة دون أن تراهما، لم يذهبا إلى نفس المكان بل ذهبا إلى مكان آخر لأن حمزة ظن أنه إذا قام ببيع الخبز في حي شعبي سيذهب عنده من يريد الخبز حقا، ولكن الذي ظنه لم يحدث لأن الإحسان موجود في كل مكان وعند كل إنسان سواء كان غنيا أم فقيرا، والعديد من سكان ذلك الحي قد أغضبتهم فكرة أن شخص في هذه الوضعية يبيع، وانقسمت الآراء إلى فئتين: الفئة الأولى انهم يشفقون على حمزة ويقولون (لا يجب على هذا الشخص أن يعمل) وكانوا يلومون أهله وخاصة والدته والفئة الأخرى لا تهتم بحالة حمزة وفقط تهتم بصورة حيهم، رغم كل واحد لديه سبب الكل لا يريد أن يبيع حمزة الخبز، الخطير في الأمر والذي تألم له حمزة هو في منتصف النهار كان أحد الأطفال يلعب فرأى حمزة واقترب منه وقد رأه حمزة وابتسم على وجهه وحاول أن يلعب معه فنظر الطفل إلى حمزة.

وقال: أنت معاق وغبي، معاق.. أنت معاق، معاق.

فآلم هذا الكلام حمزة كثيرا ولكن حمزة لم يغضب منه رغم هذه النظرة القاسية ورغم هذا الكلام القاسي بل مازال ينظر إليه بابتسامة لأنه مازال صغيرا وليس له أي ذنب لأنه فقط قال ما فكر به تفكيره الطفولي بل الذنب والمسؤولية ترجع إلى الأسرة وإلى المؤسسات التعليمية وإلى الإعلام لأنه ليس هناك تربية خاصة ب " كيف يجب التعامل مع ذوي الإعاقة " وخاص إلى الإعلام الخاص بالأطفال يعني البرامج والقنوات الخاصة للأطفال.. وغير ذلك، ولو اهتمت إحدى الشركات العالمية بذوي الإعاقة كما تهتم بمواضع الاختلاف رغم أنه صعب جدا أن يكون مقبول في العديد من المجتمعات، هنا يجب أن نطرح السؤال التالي: لماذا لم يسبق لنا أن رأينا شخصية خيالية تمثل ذوي الإعاقة إلا في بعض الأحيان المحدودة وتكون الإعاقة بسيطة؟ وقد نادت أم الطفل عليه ثم ذهب عندها وذهبا. عودة إلى نوال وابنتها الأنانية غيثة، مازال المشكل بينهما قائما بسبب ذلك اليوم في مدرسة غيثة، ولم تكن غيثة تريد أن تسأل والدتها عن لماذا طردت أبيها من المدرسة بل ظلت صامتة كأن نوال هي المسؤولة الرئيسية عن غياب أبيها عنهما طوال هذا المدة السابقة ولم يتخل عنهما بسبب المرض الذي يمكن أن تصاب به كل امرأة والذي هو من عند الله سبحانه، طبيعة الإنسان أن يصدق ما فكر به ذهنه بالنسبة له هو صحيح وصعب أن يغير ذلك المعتقد

في ذهنه، ربما هذا من أسباب وجود الظلم في الكون. جاءت نوال عند غيثة ولم تكن غيثة تريد أن تراها.

قالت لها وهي لم تنظر إلى وجهها: ماذا تريدين؟ يا أمي، لماذا جئت عندي؟

ردت عليها: يا غيثة جئت لكي أخبرك بأننا سنذهب عند خالتك سعاد يوم الجمعة من أجل أن نتناول وجبة "الكسكس" مع بعض.

وقالت غيثة بأنانية: ماذا!، أنا لن أذهب معك لأني لا أحب أن أذهب عند صديقاتك وأيضا لا أحب أن أرى حمزة عندما يأكل لأن طريقته في الأكل.. إنها مقرفة جدا وتشعرني بالدوران.

فقالت نوال بغضب: اصمتي يا غيثة، لا تتحدثي عن حمزة لأنه مريض المسكين، وليس دون سبب انه يأكل بتلك الطريقة ولو لم تكن المشكلة في يده كان سيأكل مثل جميع الشباب أو أفضل ولكن للأسف الشديد... لكنك مازلت أنانية؟ وأنا مازلت لم أنس معاملتك البشعة معهم في أول يوم أتوا عندنا، هذا كلامي الأخير ستذهبين معي عند خالتك سعاد.

تجاهلت غيثة كلام أمها فخرجت وتركتها تتحدث لوحدها في الغرفة. أثناء ذلك الوقت كان حمزة يتألم داخليا من الكلام الـــذي كانت تقوله إحدى النساء وحتى هن أيضا أصدروا الأحكام الخاطئة حول حمزة ووالدته مثل النساء بالماضي. فجـــاء حســـن يبـــدو أن شخص مدمن وفقير للغاية، وسمع كلام النساء ثم نظر إلى حمزة فعلم انه عرف أن النساء يتحدثن عنه، فانتبهت إليه النساء

وقالت إحداهن له: يا أيها الرجل لماذا تنظر إلينا؟ وماذا تريد؟ هيا اذهب.

فرد: ألا تخجلن من التحدث عن الشـــخص وهـــو يســـتمع ويعرف أنكن تتحدثن عنه؟ يا لكن من نساء ثرثارات.

فقلن له بغضب: تبا لك وكم انك حقير، هل ظننت بأن هـــذا الفتى يستطيع أن يفهم كل ما قلناه؟ فأنا لا أظن ذلك، لكننا نقول الحقيقة لأنه حرام على أهله أن يخرجوه إلى الشارع مـــن أجـــل أن يجلب لهم النقود.. هيا يا أيها المدمن اذهب فأزواجنا ليسوا بعيدين عنا: إذا رأوك معنا أقسم لك بالله سوف تدفع الثمن غاليا.

وأما حمزة سمع كل كلام السيدة وهو يحترق من داخله بسبب جهل الناس حول إعاقته وأنه في بلده بلا وجود على الـــرغم مـــن

الروح، من وجود النفس، والمشكلة أن غضبه يظهر علـــى وجهـــه وعلى حركاته.

فقالت إحدى النساء: يا نعيمة، يا نعيمة دعينا نذهب فنحن لا نريد مشاكل.

لم تكن نعيمة تريد أن تـــذهب لأن إذا ذهبـــت كأنهـــا قـــد استسلمت لكلام حسن، ولكن في الأخير قـــررت أن تـــذهب لأن صديقاتها قررن ذلك. فنظر حسن إلى حمزة وعرف انه غاضب للغاية ولكنه لم يعرف ماذا يجب أن يفعله لكي يهدئه، فقام باحتضانه وكان يقول له (اهدأ فقد ذهبن... اهدأ فقد ذهبن.....) وبعدها هدأ حمزة قليلا على الرغم أن كلام النساء آلمه داخليا. ثم ذهب حسن وبعد مدة قصيرة رجع عند حمزة. لكن رجوعه هذا أغضب حمزة لأنه فكر بأنه يجب أن يعطيه شيئا لكي يفرحه، لهذا أعطاه النقود ولكن حمزة غضب ولم يفرح، حاول حمزة أن يرفض النقود ولكن حسن وضـــع النقود على كرسي حمزة ثم قبله وذهب، غضب حمزة كثيرا من هذا الفعل ونظر إلى حسن وهو يمشي.

جاء المساء وجاء أناس عند أخيه حمزة لكي يرجعه إلى البيت، وفي الليل رجعت سعاد إلى البيت ولكنها وجدت النقود في بـــاب المنزل فقد تفاجأت كثيرا وسألت في داخلها قائلة: كيف وجـــدت

النقود في المرة الثانية؟ مستحيل أن النقود سقطوا من حقيبة نفس الشخص في نفس المكان !، كيف.. كيف؟!.

استغربت من هذا الأمر كثيرا، فقررت أن تصمت إلى حين يظهر صاحب النقود، ودخلت إلى المنزل ولكنها أتت من تعب العمل إلى تعب المنزل لأنّها قامت بالأعمال المنزلية في أول ما دخلت المنزل، وخاصة مع حمزة: أدخلته إلى الحمام وأعطته الطعام.....

إضافة إلى هذا كانت تعاني معه بصمت لأن حمزة صار عصبيا للغاية وللأسف الشديد كان يلوم والدته سعاد على أنه لم يدرس وعلى أنه لم يعمل وعلى أنه مازال عالة عليها.

مرت الأيام وجاءت الأخرى مازال حمزة يبيع الخبز على الرغم العقبات التي تواجهه، و أولها نظرة سكان الحي الذي يعمل فيه، وبعض منهم انزعجوا أن شخصا مثل حمزة في حيهم والآخرين أشفقوا على حمزة أكثر مما يجب، الأهم هو أن الكل لم يرد أن يستمر حمزة في بيع الخبز على الرغم أن لكل واحد منهم سبب، وقد زادت المشاكل بين حمزة وبين سعاد، وهي الأخرى كانت تجد النقود تحت الباب كل ليلة، ففكرت بأن أحدا ما يريد أن يساعدها على العيش من أجل حمزة ومن قبل كان سيد يعطيها النقود من أجل حمزة، لكنها الآن لا تعرف من يكون فقد فكرت بشامة ولكنها بسرعة

تراجعت عن هذه الفكرة لأنّها تعرفها لا ترحم أحد لشـــدة حبهـــا للنقود.. (من؟. من هذا الشخص) كانت تتساءل في داخلها، وفي نفس الوقت كانت تسأل عن ماذا ستعمل مع حمزة لأنه صار غاضبا كثيرا، وهو على الرغم أنه يرى سعاد تعاني وعلى الرغم انه بنفسه يساعدها بالسر كل ليلة، تكون بينهم المشاكل وأحيانا لسبب تافه يكون المشكل بين حمزة وبين والدته أو بين أخيه كأنه يفجر كل مـــا يعاني منه في الشارع ولكنه لا يلومها على أنه معاقا بل كان يلومها على أنه الآن ليس لديه أي شهادة دراسية أو مهنية على الـــرغم أن الطير لا يستطيع أن يوصل الرسالة إلى الملك بنفسه، فإن سعاد مثل العديدة من الأمهات التي أبنائهن من ذوي الإعاقة قد وجدت جميع الأبواب مغلقة ولم تجد من يساعدها من أجل مستقبل حمزة مثل أي إنسان طبيعي، أود التحدث قليلا عن الجمعيات الخاصـــة بـــذوي الإعاقة ويقولون أنهم يوفروا تعليم لفائدة ذوي الإعاقة (الذهنيـــة) وذوي الإعاقة الشديدة أين مسؤوليتهم من وضعية حمزة، هل حقـــا هم مؤسسات تعليمية أم هم مثل روض الأطفـــال فقـــط؟ وهـــل الأشخاص في وضعية إعاقة محميين لديهم؟ علـــى الـــرغم أن هـــذا السؤال يعتبر إهانة لدى بعض الأشخاص في وضعية إعاقة لأنهم رغم عمرهم مازالوا في هذه المؤسسات، وأصحابها يريدون النقود فقـــط ولا يريدون مصلحة هؤلاء الأشخاص ومنهم الأطفال، وطبعـــا لا

نتحدث عن كل الجمعيات بل توجد جمعيات تعمل بضمير رغم أنها قليلة. فسؤال هنا أين مراقبة الوزارة المسؤولة بشأن الأشـــخاص في وضعية إعاقة ووزارة التعليم لماذا لم تتحمل مسؤوليتها الكاملة بدل أن تكون مجرد شراكة مع بعض الجمعيات،؟

وفي السنوات الأخيرة الحمد لله، رأينا أنه بدا الإدماج المدرسي لذوي الإعاقة بفضل بعض الجمعيات الفاعلة في هذا المجال.

في ذات يوم جمعة أتت نوال برفقة ابنتها عند ســـعاد لتنـــاول وجبة "كسكس" معهم، وأثناء تناولهم الوجبة وطبعا كانت يد سعاد تتوجه إلى بطنها في كل مرة تلو المرة: كانت تتوجه إلى بطن حمـــزة، ونوال كانت ترى أن صديقتها تعاني مع ابنها كثيرا ولكن لم تعرف ماذا يجب أن تفعل من أجل أن تساعد صديقتها، وحالة حمزة كانت صعبة للغاية وأما غيثة كانت تحاول ألا ترى حمزة وهو يأكل لأنّهـــا تقرف من طريقة أكله فأحس بذلك. كل هذا جعل حالته تســـوء، ولما سعاد قالت له جملة بسيطة (انتظر قليلا يا حمزة) اشتعل حمـــزة غضبا فصدمت نوال وسعاد ثم ذهب إلى الغرفة الأخرى وهو يحبو، فسمع نوال عندما قالت لسعاد: اهدئي يا أُختي سعاد، لن تغضـــبي منه لأنه مجرد مريض.

مما أغضب حمزة كثيرا.

مرت الأيام كانت حالة حمزة صعبة لان فكرته حول بيع الخبز بسبب نظرة الناس والفكرة التي لديهم حوله، رغم ذلك مازال يقاوم ومازال يعمل، والناس عندما يرون حمزة كانوا يروا أنه شخص يعمل وليس من حقه أن يعمل، إضافة إلى أنه يعطي شيئا إلى والدته من المداخيل سرا وهي الأخرى لم تستخدم النقود بل تركتها حتى يظهر صاحبها الحقيقي واذا لم يظهر ستكون نقود حمزة بهذا كانت تفكر ولم تعرف الحقيقة لأنّها إذا عرفتها ستمنعه من العمل. يامنة وزوجها أكبر مستفيدين من عمل حمزة لأن يامنة صارت لا تستطيع أن تعمل في الشارع حيث أنها اكتشفت أن لديها مرض السرطان وأما زوجها من قبل كان مريض للغاية، كانت فكرة حمزة مثل باب الخير لديهما وعلى الرغم من أنها عرفت الحقيقة بسبب أنها ذات يوم صباحا كانت تراقب باب منزلها بالسر ومن هناك عرفت، لكنها لم تتحدث مع الناس وحمزة بل تركتهم مرتاحين.

استمر حمزة يقاوم. نعم يقاوم ويناضل من أجل حقه في الحياة مع احترام قواعدها. والسكان صاروا لا يستطيعون رؤية حمزة وهو يبيع الخبز: كل واحد منهم لديه سبب وعلى الرغم من ذلك... على الرغم من اختلاف الأسباب هم لا يريدون أن يمارس الإنسان حق من الحقوق الشرعية الذي هو حق العمل ويريدون أن يحرموه

منه، وذات مرة قد أناس إلى حمزة كالعادة ولكن بعض السكان رأوه ووقفوا أمامه فتفاجأ.

فقال أحدهم له: السلام عليكم، هل هذا الشخص من عائلتك؟

رد أناس: أجل، إنه أخي، لماذا سألتني يا أخي؟

قال: طيب يا أخي، هل هذا صعب عليه؟ يعني هل يستطيع أن يعمل؟

فقال الرجل الآخر غاضبا: استمع يا أيها الفتى إذا رأينا أخيك مرة أخرى سوف نتصل بالشرطة لكي يرسلوه إلى أي دار رعاية، هل مفهوم؟

رد عليه أناس: ولكن يا سيدي أخي يريد أن يعمل هنا، فهل ممنوع البيع هنا!؟!.

فقال هازئا: ماذا قلت؟ هل شخص لديه إعاقة ذهنية يستطيع أن يفكر بهذه الطريقة؟ لا أعتقد ذلك هذه الكذبة قالها لك أبوك لكي تقولها للناس؟

فانفجر حمزة بالغضب لدرجة أنه رمى ما بقي من الخبز وحتى أناس غضب كثيرا لأن الرجل تحدث عن أبيهما بالسوء، وأما الرجال فقد تفاجأوا من فعل حمزة. فذهب أناس بحمزة على الرغم من أن حمزة كان يريد أن يبق وأن يلوم الرجل على ما قاله ولو أقله بالصراخ، وبعد ذلك أصبح أناس لا يريد أن يخرج حمزة من أجل أن يبيع الخبز، وهذا أغضب حمزة مما خلق مشكلة بين حمزة وبين أناس، حمزة يريد أن يستمر في حقه بالعمل وأما أناس لم يرد أن يساعد حمزة بعد على الخروج من أجل بيع الخبز كأنه اقتنع بكلام أولئك الرجال وهو في الأول لم يكن يريد أن يشارك حمزة فكرته ولكن بعد التحدث الطويل فقد أقنعه. لكن الآن وبعد ذلك الكلام ظن أناس بأنه كان مخطئا. وبسبب أن حمزة توقف عن العمل لمدة فقد ساءت وضعية يامنة المادية. وهي كانت تتساءل قائلة: لماذا لم يأتوا عندي لكي يأخذوا الخبز؟ ربما ذلك الشاب مريضا، أتمنى أن يكون بخير وأن يرجعا من أجل أن يأخذوا الخبز مجددا.

فظلت يامنة في انتظارهما، وقد مر أسبوع كاملا وحمزة لم يخرج من أجل أن يبيع الخبز فقدت يامنة الأمل أن حمزة وأناس يعودان. بالمقابل لم يكن حمزة يتحدث مع أخيه أناس ولكن ذات يوم قال له بالكتابة وبأشد لهجة: يا أناس، يا أناس سوف تساعدني مرة أخرى أم لا سأعود لبيع الخبز، لا يمكن أن أتوقف فقط بسبب كلام

أولئك الرجال الجاهلين، رغم أنني معاق يجب أن أعمل من أجل والديّ ومن أجل ألا أكون عالة عليكم.

غضب أناس مما قاله حمزة ولم يرد عليه، ولكن في آخر المطاف فقد غير أناس رأيه لأن حمزة أقنعه ولأنه فكر بوالدهما سعاد وقد فكر بأن هذا الأمر يساعدها وهو مازال يدرس، هذا الخبر قد ملأ قلب يامنة بالفرح والسرور، فقد جاء أناس عندها ليخبرها وطبعا كان يريد أن يترك رسالة لها بالخفاء ولكنها قد رأته فخرجت عنده وتفاجأ ولكنه تفاجأ كثيرا عندما عرف أنها كانت تعرف حقيقتهما.

قالت: السلام عليكم، هل أخيك بخير؟ لماذا لم تأتوا في الأسبوع الماضي؟ يا بني.

رد عليها: الحمد لله يا خالتي هو بخير، لكن كيف عرفت حقيقتنا؟

فقالت: لا يهم، هل حقا انتم بخير؟ فهل هذه الرسالة لي؟!

قد أخذت الرسالة من الأرض ثم فتحتها والذي قالوا في الرسالة حمزة وأناس: السلام عليكم ورحمة الله، يا سيدتي اعتذر عن عدم القدوم لأن كان لدينا مشكل تقني ولكن الآن سوف نعود إلى بيع الخبز، نطلب منك أن تحضري لنا مئة قطعة من الخبز...

قد وجدت يامنة النقود برفقة الرسالة، فنظرت إلى أناس وهو أيضا إليها وهو مازال متفاجأ. رجع أناس إلى المنزل ولكنه لم يخبر حمزة بأن يامنة عرفت حقيقتهما، وفي اليوم التالي وبعدما ذهبت سعاد إلى عملها خرجا حمزة وأناس مجددا إلى طريقهما المجهول... وصلا إلى بيت يامنة فتفاجأ حمزة عندما طرق أناس الباب ونظر إليه ثم فتحت يامنة باب بيتها.

وقالت بابتسامة: مرحبا يا أيها الشباب، صباح الخير وكيف حالكم؟

قد تفاجأ حمزة كثيرا وسأل في نفسه عن كيف عرفت حقيقتهما.

فقال له أناس: يا للهول، يا حمزة قد نسيت أن أقول لك إن خالتي يامنة عرفت حقيقتنا من قبل.

وقالت يامنة: صباح النور يا حمزة، أناس لديه الحق اني عرفت أنكم من أخذ الخبز من عندي من أجل أن تبيعوه في الشارع، لكن لماذا كنتم تخفوا حقيقتكم عني؟

وقد أخذا منها الخبز، كان حمزة متوترا كثيرا وخاصة لما عرف أمر يامنة، لدرجة أن يامنة لاحظت ذلك وبدأت تسأل نفسها

(كيف يمكن أن شخصا مثل حمزة يبيع الخبز؟ بل كيف يمكنه أن يعمل في الأصل؟) نظرت إليهما وهما مغادرين تائهة ولكنها لم تكن تستطع أن تقول لهما إن هذا صعب على حمزة ولا أن تسألهما عن أهلهم هل لديهم علم لأنّها كانت تحتاج إلى المبلغ الذي يعطوه لها، فإن يامنة وجميع الناس لم يعلموا مع الأسف بأن الشخص في وضعية إعاقة ولو كانت درجة إعاقته كبيرة فقد منحه الله تعالى معها قدرة ليعيش في هذه الحياة مثل باقي خلقه وهناك حديث رائع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هو " لن تبعدوا ذوي الإعاقة بل أعطوهم ما يستطيعون فعله " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعادت يامنة إلى داخل بيتها، أما حمزة وأناس قد ذهبا إلى مكان جديد من أجل بيع الخبز على أمل أن هذا المكان مكان الخير وقلب حمزة فيه أمل كبير، أضافوا إلى تلك الورقة التي مكتوب فيها " الخبز بدرهمين " قد أضافوا " لا أريد الصدقة" وبالفعل أن حمزة لا يريد الصدقة بل إنه يريد أن يعمل وخاصة يريد أن يجد نفسه بين أفراد المجتمع " ما هو عمله في هذا المجتمع " لم يعد أحد يفكر بهذا الموضوع إلا والدته كأنه سيبقى طفلا إلى الأبد. بعض الناس قد تعاملوا مع تلك الورقة بالتشجيع: بعض الأحيان يشتروا الخبز رغم أنهم لا يريدونه، وإذا حمزة عرف لن يوافق على هذه الفكرة ولكنها أفضل من إعطائه النقود دون شراء الخبز، وهناك بعض الناس

الآخرين مازالت لديهم الفكرة الخاطئة للأسف الشديد أن أهل حمزة هم من أخرجوه من أجل أن يجلب لهم النقود، وهذا المكان قريب من المكان السابق لهذا قد تعرف عليه بعض الناس من هناك. وكان المكان الجديد قريب من إحدى الحدائق والأطفال يلعبون فيها لهذا قد زاد التنمر عليه من قبل الأطفال.

وفي ذلك الوقت قد تحسنت العلاقة بين نوال وبين ابنتها غيثة، فأخيرا رجعت غيثة إلى حضن والدتها بعد أن ابتعدت عن المشاكل التي تخرب الأسر والبيوت أحيانا لسبب تافه كأنها قدرة سحرية وشريرة تدخل إلى البيوت من أجل أن تخربها وان تفرق الأحباب ويذهب كل واحد منهم إلى مكان مختلف، لكن ولو كانت هذه الفكرة حقيقية يجب أن نحاربها بالحب وبالاحترام لأن بوجود الحب القوي والاحترام لا شيء يمكنه أن يخرب العلاقات الإنسانية ولا البيوت. وقد سمحت نوال لغيثة برؤية أبيها وأيضا برؤية أسرته الجديدة على الرغم أن هذا ضد كرامة نوال ولو أن جرح طلاقها مازال يؤلمها، يدمي قلبها وسوف يظل يؤلمها إلى الأبد، ربما من أجل ابنتها ومن أجل أن تراها سعيدة، وفي الحقيقة أن نوال إنسانة طيبة جدا لأنّها رغم أن الجرح في قلبها لم تنتقم من يوسف لأنّها لم تحرمه من رؤية ابنتهما غيثة لأنه هكذا يكون الإنسان الطيب والراقي، ولم يكن الحقد في قلبها على الرغم كم من مرة جرح هذا القلب. يو..

هو الآخر بدأ يتذكر ذكرياته مع نوال وقد تذكر كم كان سعيدا معها قبل أن يتخلى عنها بهذه الطريقة البشعة كأن المرأة بالنسبة إلى الرجل مجرد وسيلة ليلبي رغباته الجنسية، كلا بل إن المرأة بالنسبة إلى الرجل هي حب وهي صديقة حميمة وهي روح وليست مجرد جسد فقط وهي بيدها سعادة واستقرار الرجل وأسرتهما وهي... هي.. هي... هي كل شيء في حياة الرجل، وإذا يوسف أحس بأن نوال صارت لا تستطيع أن تلبي بعض رغباته أو صار يراها امرأة غير كاملة فكانت أمامه عدة طرق دون أن يتخلى عنها وعن ابنتهما بالكل ويذهب إلى مكان بعيد من أجل أن يبني حياته الجديدة، ولكن إذا كان يحبها حتخلم تخلى عليها وعلى ابنتهما وكان تقبلها رغم ما أصبحت عليه.

هذا هو حال نوال مع ابنتها وزوجها السابق مثل ما كان حال سعاد من قبل لأنّها بدأت تنسى ما وقع لها في مدينة الدار البيضاء بفضل عملها الجديد وبفضل زملائها خصوصا سيد اسمه فؤاد وهو نادل، وكان بالها مشغولا مع ذلك المجهول الذي يضع المال في الباب لأنه منذ أسبوع لم يأت إلى البيت سرا، ولكنها لم تهتم بالمال بل كانت تخشى أن يكون قد حدث له أي شر.

وفي الليل عادت سعاد إلى البيت فتفاجأت عندما رأت النقود في الباب مجددا، فابتسمت ولكن ليس من أجل النقود بل لأنّها عرفت أن صاحبها بخير وأنه مازالت هناك فرصة لكي تعرف من هو وتشكره على تفكيره بهم. ثم دخلت إلى البيت ووجدت حمزة في انتظارها بخير مما جعلها اطمأنت لأنّها طوال النهار فكرت فيه وبماذا يفعل وهي بعيدة عنه، ولكنها لم تعرف أنه يخفي عنها سرا وأنه صاحب تلك النقود الحقيقي. بدأت سعاد في المهام المترلية دون أن تأخذ وقتا للراحة ولو عشر ثوان.

قد مر يومان خلالهما استمر حمزة في عمله بكل شجاعة رغم كل الصعوبات، ولكن في اليوم الثالث بدأت تسوء الأمور عند حمزة، لأن بعض الناس من الذين شجعوه في الأول قد اقتنعوا بأن هذا العمل صعب عليه، ولم يروا أي أحد يأتي عنده وبقي طوال النهار حتى الليل دون أن يأتي عنده أي شخص مجهول عليهم. فقد أصبح عمل حمزة مشكلا لدى السكان وحتى لدى السلطات وطبعا كل واحد لديه سبب خاص به. وكان حمزة يقاوم هذا بالإضافة إلى هذا كان لديه مشكل آخر لأن الفصل كان باردا جدا وفي هذا الفصل من بين الفصول الأخرى يذهب حمزة إلى الحمام كثيرا، وطبعا لم يكن يستطع الذهاب حينها لأنه كان في الشارع، وكان يصبر ولم يلب نداء الطبيعة على الرغم أن هذا خطير، فقد صبر حتى

رجع إلى المنزل ودام هذا الحال لمدة ثلاثة أيام أخرى، وخلال هـــذه المدة كان حمزة يعاني من ضغوط كثيرة. ولكن في مساء يومه الرابع كانت الأمور صعبة على حمزة، وقد تأخر عليه أناس كثيرا وكان في حاجة ماسة للذهاب إلى الحمام ولكنه صبر ثم صبر، فمرت ســـاعة ومازال حمزة يحاول أن يصبر ولكن أناس لم يظهر بعد ولم تكن لدى حمزة وسيلة للتواصل معه، مازال حمزة يحاول أن يصـــبر رغـــم أن الأمور تزداد سوءا بسبب ضغوط الناس والأطفال عليـــه... فقـــد حمزة صبره :الأمر فوق طاقته وفي النهاية لم يستطع أن يصبر ففعلت الطبيعة عملها، فغضب حمزة كثيرا وحاول أن يخفي ما حدث عـــن الناس ولكن اقتربت منه سيدة فراته في تلك الوضعية وابتعدت عنه وهي متفاجئة فرآها زوجها.

وسألها: ماذا حدث؟ ولماذا لم تشتر الخبز من الفتى؟

ردت عليه: يا محمود لقد قضى حاجته في ملابسه.

فقال: يا للهول!، مسكين، مسكين، يا ترى هل يوجد أحد من عائلته هنا؟

فلما سمعت كلامهما بعض الصديقات تفـــاجئن ونظـــرن إلى بعضهن، ويبدو أنهن لم يعرفن ماذا يجب أن يفعلـــن. فجـــأة سمعـــن

ضحكات الأطفال ثم نظرن إلى ناحية حمزة وحتى المرأة وزوجها نظرا إليه... فلاحظا أن الأطفال كانوا يسخرون من حمزة لأنهم علموا ما حدث له. كان من بين هؤلاء الأطفال أبناء تلك الصديقات. عرف حمزة أن الناس قد فهموا ما حدث له مما أغضبه كثيرا، وهنا انفجر حمزة غاضبا لدرجة أنه رمى كل ما كان بقى لديه من الخبز وترك نفسه يبكي مثل الطفل الصغير.

وقال في نفسه: قد فشلت في هذا العمل.. قد فشلت، لا استطيع أن أعيش مثل أي شخص لأني مجرد معاق.

ما زال يبكي على حاله والناس كانوا ينظرون إليه وكل المارين وقفوا لكي يعرفوا ماذا يحدث. وبعض الناس أشفقوا عليه كثيرا لدرجة أن بعض النساء بكين. ولكن بعض الناس كانوا يلومون أهله على عمله وعلى خروجه من المنزل: كانوا يلومون أسرته على عمل حمزة.. هذا الأمر جريمة بل لدرجة أنه حرام أن يعمل... حرام أن إنسانا معاقا يعمل. ولكن بهذا الأمر يريدون أن يحرموا الإنسان من حقه في العمل وبالتالي يحرموه من الحياة كلها فكيف ما كان شكله يبقى إنسان والمهم هو انه إنسان. كان الجو حزينا ومتوترا جدا لدرجة أن أحد الطيور، من عادته أن يطير في تلك المنطقة، وكان يطير في ذلك الوقت لو تكلم لقال: ماذا يحدث في هذه المنطقة؟!

أين اختفت فرحة الأطفال وابتسامة الأمهات المعروفة بها المنطقة؟ إلى أين رحلت..... إلى أين؟!

وفي ذلك الوقت كانت تمر سيارة الشرطة فرأى عناصر الشرطة العديد من الناس قد تجمعوا في مكان واحد، عرفوا أن شيئا ما يجري هناك. فوقفت السيارة ليعرفوا ما يحدث، وتفاجأوا كثيرا عندما رأوا حمزة فبدأوا يسألوا الناس عن أهل هذا الفتى من ذوي الاحتياجات الخاصة (حمزة) ولكن الناس لم يعرفوا أي معلومة عن أهله مما صعب الأمور على الشرطة. وبعد قليل التقت سيارة الشرطة بسيارة شرطة أخرى وسيارة إسعاف وكان من بين راكبي سيارة الشرطة الثانية مساعدة اجتماعية، فحاولت الاقتراب من حمزة والتواصل معه من أجل معرفة أي معلومة قد تساعد الشرطة في حل لغز وجوده هناك بمفرده، ولكن لم تستطع بسبب وضعيته. أما هو فكان في أسوء حال لأنه عرف أنه بدل من أن يساعد والدته على مصاعب الحياة سوف يدخلها إلى مشكلة كبيرة. فاقترب منه رجال الإسعاف فحاول أن يبقى في مكانه وألا يذهب معهم ولكنهم حملوه. وبعد قليل ذهبت سيارة الإسعاف إلى مركز الشرطة والتحقت بها سيارتي الشرطة.

وبعد ساعة وصل أخيرا أناس إلى الحديقة لقد تأخر في مدرسته مع أحد أساتذته، ولم ير أخيه في مكانه، نظر في كل الاتجاهات ولكن لم يجده، تفاجأ ولكن في نفس الوقت قد ازداد خوفه وقلقه.

فسأل بائع الذرة: السلام عليكم يا سيدي، هل رأيت بائع الخبز المريض؟ إلى أين ذهب؟ أو من ذهب به؟

رد عليه: اه يا للهول، أجل رأيت ذلك المعاق المسكين وهو أخذته الشرطة إلى المخفر، بعد....

فقاطعه قائلا: شرطة!؟ ماذا حدث لأخي؟ ماذا... ماذا؟

رد عليه: كان يجب عليك أن تنتظر حتى أكمل كلامي يا بني، إذا كان ذلك الفتى أخاك أو من عائلتك حرام عليكم لما تركتموه هنا لمدة طويلة لدرجة أنه عمل حاجته في ملابسه، على الأقل كان يجب أن يرتدي الحفاضة.

لقد غادر بائع الذرة وأما أناس كان واقفا جامدا من شدة الصدمة كانت الحياة قد اسودت في عينيه وتاه في ماذا يجب أن يفعل. في ذلك الوقت كانت سعاد تعمل براحة مع زملائها وفؤاد... فجاءها الاتصال من أناس وردت عليه.

قالت له: مساء الخير يا بني، هل تريد شيئا؟

ورد عليها وهو متوتر للغاية: يا أمي.. أمي، يا أمي حمـــزة... حمزة قد ذهبت.. الشرطة إلى مركزها..

فقالت وهي ضاحكة: يا أناس توقف عن المزاح، أنا في العمل ومشغولة، هيا أخبرني بما تريد..

وقال: ولكني لا امزح معك، هذه هي الحقيقة..

(عرفت من خلال صوته انه لا يمزح معها لأنه حزين ومتـــوتر للغاية) فقالت وهي منفعلة: ماذا الذي.. ماذا الذي حدث لأخيك؟

فرد عليها: عندما نلتقي في مركز الشرطة سوف أخبرك بمـــا حدث..

لاحظ فؤاد أن سعاد قلقة للغاية.

وبعد مرور ساعة كان أناس أمام مركز الشرطة وهو متـــوتر للغاية، فأتت سعاد برفقة فؤاد وهي تائهة ورآها وحتى هي رأته.

فسألته: ما الذي حدث لأخيك؟ يا أناس.

(كان أناس في وضع صعب ينطق بشدة: إنه متوتر)

رد عليها: يا أمي.. أمي بالحقيقة أن حمزة.. أن حمزة.

فلاحظ وجودهم أحد المحققين ثم اقترب منهم.

قال: السلام عليكم، لماذا أتيتم هنا؟

فردت عليه سعاد وهي متوترة للغاية: وعليكم السلام، قد أتينا لكي نسأل عن الفتى المريض الذي جلبتموه من منزل أهله، وأنا أمه، ولماذا جلبتموه؟ يا سيدي وهل فعل شيئا في المنزل؟

وقال: أجل لدينا الفتى من ذوي الاحتياجات الخاصة... ولكن في المنزل!؟ هل تعتبرين الشارع هو منزله؟

فأجابته باستغراب: لم أفهم يا سيدي، ماذا قصدت؟

فقال: يا سيدتي لا استطيع أن أخبركم بشيء، ويجب أن تدخلوا عند عميد الشرطة سيد * محسن *.

فدخل ذلك المحقق إلى مركز الشرطة. وأما أناس كان رأسه ينظر إلى الأسفل فقرر أن يخبر والدته بالحقيقة.

وقال: يا أمي، يا أمي سامحينا ولكن يجب أن اعترف لك بالحقيقة، بأن حمزة كان.....

وبعد مدة قصيرة كانت سعاد قد عرفت الحقيقة الكاملة: حقيقة النقود التي كانت تجدها تحت الباب، فكانت كمن قد صدمتها سيارة من شدة الصدمة.... كانت الحقيقة صعبة عليها ولم تقبل هذه الحقيقة الصادمة ولم تقبل أن أبنائها يخفونها عنها فكانوا كأنهم غدروها على الرغم أن قصدهم كان طيبا.. وكان حمزة

يريد أن يغير حياته إلى الأفضل وأن يساعدها ولو قليلا، رغم أنه يعرف أنه لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية نفسه كاملة عنها: فهي يده التي يأكل بها وساقيه التي يمشي بها.

وبعد ساعة دخل كل من سعاد وأناس وفؤاد إلى مكتب عميد الشرطة * محسن * وسعاد كانت تظهر عليها الصدمة فطلب منهم الجلوس ثم جلسوا.

قالت سعاد: السلام عليكم، يا سيدي أين ابني.. ذاك الفتى من ذوي الاحتياجات الخاصة.

رد عليها محسن: أجل يا سيدتي، ابنكم في رعايتنا، ولكن قبل أن تروه يجب أن نطرح عليكم بعض الأسئلة. وأول سؤال هل تعلمين ما الذي حدث لابنكم؟

وأجابته: لا يا سيدي لا، لا أعرف ماذا حدث لابني، وفقط قال لي أخيه أن حمزة في مركز الشرطة، ماذا حدث له؟

قال محسن: طيب، إذن اسمه حمزة.. يا سيدتي قد وجد عناصر الشرطة حمزة في وضعية صعبة، ملابسه ملوثة وقد عملها في الملابس، وحوله في الأرض الخبز وطاولة يبدو أنه قد رماها بعد أن حدث ذلك الأمر، وسمع عناصرنا من بعض المواطنين انه كان يبيع الخبز وأيضا كانت هناك ورقة قد أكدت كلام المواطنين، فلماذا أخرجتموه من أجل أن يعمل رغم أن وضعه صعب؟ وهل

وضعيتكم المادية سيئة لهذه الدرجة؟ لماذا تركتموه في الشارع لمدة طويلة حتى عملها في الملابس؟

أجابته سعاد قائلة: لا يا سيدي، لم أعرف أنه كان في الشارع، لو عرفت مستحيل أن اسمح له أن يبيع الخبز في الشارع، وفي الحقيقة أن هذا المساء عرفت أن ابني حمزة كان يعمل.

وقال: طيب يا سيدتي، ممكن أن أبيه كان يعرف هذا الأمر، أليس كذلك؟ يا سيدي.

(فنظر إلى فؤاد)

أجابه فؤاد: يا سيدي أنا لست أباه بل أنا زميل والدته في الشغل، عندما عرفت والدته هذا الأمر كانت في العمل فقررت أن آتي معها لكي أساعدها إذا أستطيع.

رد عليه: طيب، ما هو عملها، أين زوجها؟

فقالت سعاد: أنا امرأة أرملة يا سيدي وقد توفي زوجي منذ زمن بعيد عندما كانوا أبنائي صغارا، ومنذ ذلك الحين لم أفكر بأن أبنائي يعملوا من أجلي أبدًا وخصوصا حمزة لأنه في وضعية خاصة. لقد حملت مسؤوليتي إلى حدود الآن وسوف ابقى أحملها إلى الأبد.

رد عليها محسن: طيب يا سيدتي ومن المستحيل أن يخرج من أجل أن يبيع الخبز بدون مساعدة، هل هو لديه إعاقة ذهنية؟

قالت: لا يا سيدي بل ذهنه سليم.

فتدخل أناس وهو متوتر: يا سيدي أنا.. أنا.. أنا الذي..

وقال محسن غاضبا: هيا تكلم بسرعة، وهل حتى أنت لديك إعاقة؟ هيا.

فأخبره بما حدث من بداية الفكرة إلى حدود اليوم وبعد أن أكمل أناس كلامه نظر محسن إلى سعاد باستغراب.

فسألها: هل أكيد أنك لم تكوني تعرفين؟ وهل لم تلاحظي شيئا؟

إجابته قائلة: يا سيدي صدقني لم أكن اعرف شيئا، وكل ليلة كنت أجد النقود تحت الباب ولكن لم أظن أنها لحمزة وقد بحثت عن صاحبها ولكنني لم أجده لأنه كان أمامي طوال الوقت.

كان محسن ينظر إليهم فأمر بإحضار حمزة، وكان حمزة في مكتب المساعدة الاجتماعية وكان يبدو أنه متوتر للغاية، ولم تكن المساعدة تعرف كيف تتكلم معه ولا كيف تتعامل معه وفقط كانت

تنظر إليه، وبعد بضع دقائق أدخل الشرطي حمزة إلى مكتب محسن وكانت الملابس التي يرتديها جديدة فنظر محسن إليه باستغراب.

وسأل سعاد: يا سيدتي هل هو يستطيع أن يفهمني إذا تحدثت معه؟

لم تستطع سعاد أن ترد عليه ولا أن تتحدث معه ولا أن تنظر إلى حمزة لأنّها كانت مصدومة للغاية، فأجابه أناس ب "نعم".

وقال لحمزة: يا بني حمزة لا يجب أن تبيع الخبز في الشارع من أجل ألا يحدث لك ما حدث اليوم مرة أخرى، إذا احتجت شيء اطلبه من أمك وهي سوف تجلبه لك، أليس كذلك يا سيدتي سعاد؟

وكانت سعاد في حالة صعبة بسبب الصدمة لهذا لم تستطع التحدث بعد، وحتى حمزة كان في حالة صعبة وواضح للجميع انه متوتر لذلك كان محسن يظن أنه لديه إعاقة ذهنية، وقد استغرب من كلام سعاد وأناس ومن الذي يراه بعينيه رغم أن ما نراه أو نسمعه ليس هو الحقيقة دائما، بل ممكن أن تكون الحقيقة مختلفة عن الذي نراه أو نسمعه مثل حمزة فقد حكم عليه محسن من خلال شكله فقط.

وقعت سعاد على التزام بأنها لن تسمح لحمزة بالخروج من أجل أن يبيع في الشارع على الرغم من أن حمزة شخص بالغ، وكانت الإجراءات كثيرة لهذا قد خرجوا من مركز الشرطة على الساعة الثانية عشر ليلا.

وقد أوصلهم فؤاد إلى منزلهم بسيارته ثم ذهب إلى منزله. وحين دخل إليه وجده فارغا لأنه يعيش وحيدا في هذا المنزل الواسع ولكن بلا سعادة الأسرة وبلا حضنها يراه ضيقا جدا، فتذكر عندما كان مع سعاد وأسرتها وقد أحس أنه كان مع أسرته الصغيرة، وكان الحلم جميلا ولكن الآن قد استيقظ منه ورجع إلى حقيقته ففؤاد لم يسبق له أن تزوج أبدًا وقد عاش لوحده أكثر من 30 سنة بعد أن توفى والديه، فسأل نفسه: ذلك الحلم هل من الممكن أن يكون حقيقيا؟

مرت الأيام بعد تلك الليلة ولكن سعاد مازالت صامتة، ولم تتكلم مع حمزة أبدًا على الرغم من أنها تلبي له كل احتياجاته، وهو الآخر كان حزينا لأن والدته لم تتحدث معه منذ تلك الليلة، وفي نفس الوقت كان غاضبا من الالتزام الذي وقعته والدته سعاد بمركز الشرطة على أساس أن لا تسمح له أن يبيع في الشارع، وهو ظن بأنه ليس عادلا بل ظلمه، وقد كان لديه ذلك العمل هو وسيلة

ليغير الطريق الذي للأسف الشديد مشي فيه كـــل الأشـــخاص في وضعية إعاقة عميقة إلا بعض الأشخاص... والطريق طريق الحمـــل الثقيل على العائلة والعيش بلا هدف وبلا وجود في داخل المجتمع.

وقد وصلت قصة حمزة مع بيع الخبز إلى الحي الذي يســـكنون فيه، ومن جديد صارت النظرات الظالمة والقاسية تحوم حول سعاد، ولم يصدق الناس أنها لم تكن تعرف أن حمزة يبيع الخبز في الشـــارع لدرجة أن الناس كانوا يوقفونها للتحدث عن الموضوع وطبعا ليس لتشجيع الفكرة بل لانتقادها، وكان البعض يقول لها مثلا: (حـــرام عليك أنك أخرجت ابنك المريض ليبيع الخبز....) أو (كيف فكرت بخروجه لكي يعمل من أجلك وهو معاق؟ ...) كان لدى كل فـــرد كلامه ولكن كل الكلام كان يشترك بشيء واحد أنه مليء بالظلم والقسوة، وقد آلم هذا الكلام سعاد كثيرا ولكن كانت في مساعدتها على مرور هذه المرحلة نوال: برفقتها من أجل أن تكون قوية ومن أجل تخطي هذه المرحلة بلا حرج يبقى في القلب الى الأبد، رغم هي الأخرى كانت تعاني من ظلم الحياة فكانت تستعين بالصمت.

وفي أحد الأيام التقت سعاد بيامنة لم تعرفهـــا ولكـــن يامنـــة عرفتها، فأوقفتها للتحدث.

قالت: السلام عليكم يا أُختي، كيف حال أبنائك؟ بلغي لهما سلامي.

فردت عليها سعاد باستغراب: بخير شكرا جزيلا يا أُختي الكريمة، ولكن من تكونين؟ ومن أين عرفت أبنائي؟

أجابتها قائلة: أوه!، أنا هي المرأة التي كانوا أبناءك يشتروا منها الخبز من أجل إعادة بيعه، هل لم تكوني تعرفيني؟

فقالت سعاد: لم أعرفك يا سيدتي، واصلا أنا لم أكن أعرف أن ابني يعمل في بيع الخبز بالشارع، لو عرفت لم أكن اسمح له بذلك أبدا.

قالت يامنة: أوه!، اعتذر منك يا سيدتي، مع السلامة.

فذهبت يامنة لأنّها رأت سعاد غاضبة جدا كان ذلك واضحا في عينيها.

رجعت يامنة إلى بيع الخبز بالشارع بعد ما حدث وبعد أن تحسنت حالتها الصحية.

وقد استمرت النظرات الظالمة إلى سعاد وهي الأخرى مازالت لم تتحدث مع حمزة، فاستمرت على هذا الحال إلى حدود اليوم

الذي انفجر فيه حمزة غاضبا: كانت سعاد في المطبخ لأن ذلك اليوم كان يوم عطلتها وكان حمزة في غرفة المعيشة فأتى عنده أناس.

وقال له ضاحكا: يا حمزة قد رجعت إلى حياتك السابقة.

فانفجر غاضبا: لقد كتم كثيرا الغضب في قلبه بالإضافة إلى كلام أناس فانفجر على الرغم أن أناس كان يريد أن يمزح معه ولكن قلبه كانت كقنبلة مليء بالغضب وكلام أناس هو الذي فجرها فأتت سعاد بسرعة وكانت تقول: ماذا يحدث؟ ... ماذا يحدث؟

نظرت إلى حمزة غاضبة وهو غاضب كثيرا.

وقالت له: ماذا حدث لك؟ مازلت غاضبة منك على ما كنت تفعله،.. هل قصدك هو أنك كنت تريد أن تساعدني؟ لم يكن عليك لأنّها مسؤوليتي أنا فقط وليس أنت، وأنت تحت مسؤوليتي إلى الأبد لأنك مريض.

وهذا الكلام قد أشعل نار الغضب التي في قلب حمزة أكثرا وأكثر فرمي كل ما كان متواجدا أمامه، وكان غاضبا كثيرا لدرجة أن كل الذين كانوا مجاورين لهم سمعوا صراخه.

وقالت شامة وهي تسمع صراخ حمزة: أتمنى أن هذا المجنـــون لن يخرب بيتي.

ما زال حمزة غاضبا للغاية وقد غضبت سعاد كثيرا واختـــارت الهروب.. خرجت من البيت ثم غادرت الحارة أمام أنظار الجـــيران وهم كانوا يتسألون عن ماذا حدث لحمزة؟

وبعد مرور وقت قليل من الزمن ذهبت سعاد إلى البحـــر وفي نفس الوقت جاءها رسالة من حمزة بواســـطة تطبيـــق *واتســـاب* وقرأها:

قال حمزة في الرسالة: نعم أنا معاق ولا يمكن أن افعـــل شـــيئا بدون مرافق، لكن أنا إنسان.. أنا شاب مثل جميع الشباب الـــذين لديهم أحلام، هل إعاقتي لا تسمح لي أن أكون شابا بل يجب أكون طفلا؟ إذن كان عليكم أن تقتلوني في عمر 17 سنة ولن يظلمـــوني بهذه الحياة الظالمة.

فصرخت بأعلى صوت قائلة: ماذا سأفعل؟!؟ يا إلهي.

وبعد مدة قصيرة كانت سعاد تنظر إلى البحر بنظرات حزينـــة وتائهة.

فقالت في نفسها: أنا المرأة الأرملة التي جيرانها وأحبابها قد ظلموها لأنه لا يوجد في بيتها رجل رغم أنه في الحقيقة يوجد رجل ولكنهم لم يروه بسبب إعاقته، وقد ظلموني كثيرا وحكموا عليا دون أن يعطوني فرصة لكي أدافع على شرفي بسبب الرجل التافه الذي طوال عمره في الخمارة، أين العدل من هذا؟ ولهذا السبب قد هاجرت برفقة أبنائي إلى المجهول بلا تفكير... إلى مدينة أخرى رغم العقبات في الأول الحمد لله أننا قد استقرينا فيها، وعندما بدأت أنسى ما حدث لي قد ضربتني وصدمتني حقيقة ابني حمزة بأنه كان يبيع الخبز في الشارع، وهو الآخر يطالبني بحياته التي حرم منها منذ ولادته، صحيح أنه لديه الحق ولكنني ماذا أفعل.. ماذا أفعل مع ابني من أجل أن يأخذ حياته وانا مجرد امرأة بسيطة، ماذا أفعل؟

كانت الدموع تسقط من عينيها دون أن تحس، بالفعل ماذا ستفعل هذه الأم من أجل أن ابنها يأخذ حقوقه وهو لديه إعاقة صعبة للغاية؟

وفي نفس الوقت قد أتت إلى تلك الحديقة التي كان حمزة يبيع الخبز بالقرب منها فتاة اسمها * لطيفة * للبحث عنه لأنّها في أحد الأيام اشترت من عنده الخبز ولكن لم يسمح لها الوقت بالتحدث معه حينها، وهي قد أعجبها كثيرا انه كان يبيع الخبز وبهذا كان

يتحدى إعاقته، وقد اعجبها هذا الأمر لأنّها في يوم مـــا كانـــت في نفس الوضعية ولكن ليست نفس الإعاقة، لم تجـــده هنـــاك وقـــد استغربت من الأمر فسألت بائع الذرة وأخبرها بما حدث لحمزة في هذه الحديقة، فتأسفت وحزنت على ما جرى لحمـــزة في الحديقـــة وقررت أن تبحث عنه.. قررت أن تبحث عن بائع الخبز مـــن ذوي الإعاقة الذي لا تعرف اسمه حتى، ويبدو أن هذا الأمر صعب ولكن كانت لديها الرغبة الكبيرة في اللقاء مع حمزة مرة أخرى.

ذهبت أول الأمر إلى مركز الشرطة الذي كان حمزة فيـــه في تلك الليلة، ولكن طبعا لم توافق الشرطة على إعطاء معلومات عـــن حمزة وأسرته لأنه ممنوع من الناحية القانونية، فظلت راغبة في اللقاء مع حمزة مرة ثانية، لذلك فقد أخذت طريقة غير قانونية من أجـــل الحصول على اسمه وعنوانه.

وفي ذلك الوقت كانت نوال قد تعرفت على رجـــل اسمـــه * صلاح * كان عميلا في البنك الذي كانت تعمل فيه وهـــو، وقـــد أحبته من أول نظرة فسأل عنها أحد أصدقائه لأنه كان من زملائـــه في العمل، فأخبره بكل ما حدث لها وحاول أن يبتعد عنها، ولكـــن رغم كل شيء ورغم أنها فقدت جزء من جمال المـــرأة فصـــلاح لم يبتعد عنها بل قد تمسك بها كثيرا وتطور الأمـــر إلى أن دعاهـــا إلى

الغداء في أحد الأيام وكانت تعتقد أنه غداء عمل، ولكن قد وقع عكس ما اعتقدته تماما، فعرض عليها الزواج فتفاجأت كثيرا.

وقالت له: يا سيدي صلاح... يا سيدي صلاح قد فاجأتني بهذا الطلب، شكرا على انك فكرت باني أكون شريكة حياتك ولكن أنا...

فقال: يا سيدتي نوال في الحقيقة اني اعرف كل ما حدث لك وكنتي مريضة وعليها فقدت.... واعترف لك باني فكرت بالموضوع في أول ما عرفت ذلك، ولكن بعدها تأكدت أني أريد الزواج بك بسبب روحك الطيبة وليس جسدك، سامحيني على جرأتي هذه ولكن كان يجب علي أن أصارحك، نحن في عصر الصناعة، عصر جد متطور ويمكننا أن نسافر إلى الخارج من أجل أن نلتقي بأفضل الأطباء إذا أردت طبعا، لكن ليس من أجلي بل من أجلك لأنك تستحقين أن تكوني أجمل نساء العالم.

لم تكن تستطع أن ترد عليه * بنعم * ولا * بلا * وكانت مصدومة كثيرا مما قاله... فأعطاها بعض الوقت لكي تفكر.

وذات يوم كانت سعاد في مطبخ المنزل لأن ذلك اليوم يوم عطلتها، ومازالت غاضبة من حمزة وبالحقيقة كانت حزينة من

وضعيته، وهو الآخر كان يشاهد التلفزيون وكان يبدو من حاله انه في وضعية نفسية صعبة بين الغضب وبين التوتر، فسمعوا طرقا على الباب وكانت في الباب لطيفة ونجحت في الوصول إلى حمزة بفضل الطرق غير القانونية، ففتحت سعاد الباب ورأت لطيفة.

سألتها قائلة: السلام عليكم، من أنت يا ابنتي؟ وهل تريـــدين شيئا؟

فأجابتها: وعليكم السلام ورحمة الله يا سيدتي، أنا في إحـــدى المرات كنت قد اشتريت الخبز من عند ابنك.

فقالت سعاد: أوه، ولكن يا آنسة ليس لدينا أي خبز للبيع.

فردت عليها لطيفة: لا، قد فهمتني خطأ ولا أريد أن اشـــتري الخبز بل أتمنى التحدث مع ابنك حمزة قليلا.

(نظرت سعاد إلى لطيفة باستغراب)

وقالت لها: مرحبا بك، ممكن أن تعطيني خمس دقائق؟

دخلت سعاد إلى منزلها لكي تستعد لاستقبال تلـــك الضـــيفة الغريبة، وعندما علم بالأمر استغرب. وبعد قليل دخلـــت لطيفـــة،

ورآها حمزة فتذكر حينما اشترت من عنده الخبز فقد تساءل بينه وبين نفسه: غريب !، لماذا أتت هذه الفتاة إلى هذا المنزل؟

وجلست لطيفة قرب حمزة، وسعاد هي أيضا جلست، وهي كانت تنظر باستغراب.

سألت لطيفة حمزة: يا حمزة هل تذكرتني عندما اشتريت من عندك الخبز؟

فقالت سعاد: هو لا يستطيع أن يجيبك، ولكن يبدو أنه قد تذكرك.

فقالت لطيفة: جيد يا خالتي، وقد أعجبت بحمزة عندما رأيته يبيع الخبز في الشارع لأنه ذكرني بمرحلة من حياتي: لأنني كنت مقعدة في الكرسي المتحرك في أحد الأيام. عندما رأيت حمزة أعجبني كيف يتحدى إعاقته، ولكن لماذا لم يرجع بعد تلك الحادثة؟

ردت عليها: شكرا يا ابنتي، ولكن في الحقيقة أنه كان يبيع الخبز دون أن أعلم، ولو كان لدي علم لما وافقت أبدًا ولكن للأسف علمت في ذلك اليوم لأن حمزة لا يستطيع أن يعمل بالكل.

فقالت لطيفة: لماذا... لماذا لماذا؟! خالتي، وهل ليس من حقه أن يعمل لأنه من ذوي الاحتياجات الخاصة؟ لا لا بل حتى الشخص في إعاقة كيف ما كان نوعها من حقه أن يثبت نفسه داخل المجتمع، صحيح أن حمزة حامل لإعاقة صعبة ولا يستطيع أن يفعل كل الأشياء بمفرده، ولكن رغم ذلك يجب أن يقول انه موجود في المجتمع رغم الإعاقة، ويفعل برفقتكم مستقبله لأنه في الأول والأخير إنسان، إنه إنسان والإعاقة هي مجرد عجز ولا نسمح لها أن تكون تحدد حياة حاملها. يا حمزة اعرف انك تفهمني ويجب أن تخرج من اجل مواجهة المجتمع بإعاقتك واذا لم تتحد كلام المجتمع ستبقى هنا كسجين في هذه الحياة المليئة بالظلم ونظرات المجتمع التي لن تتغير حتى نتحداها من أجل نظرات مختلفة افضل. ولكن نظرات الشفقة وللأسف كرهناها أو أحببناها ستبقى إلى الأبد لأن الله تعالى وضع في قلب الإنسان الرحمة والضمير على الرغم أننا لا نرى وجود الرحمة ولا الضمير في العالم ولكن.. يا حمزة الذي أريد أن أوصله لك انه يجب أن تتحدى المجتمع من أجل الحصول على حقوقك على أساس انك مواطن في الأول وفي الأخير، يا خالتي سعاد ما هو مستوى حمزة الدراسي؟

أجابتها سعاد قائلة: للأسف الشديد بدون مستوى لأنه لم يدخل إلى المدرسة الرسمية وفقط في أحد الأعوام دخل إلى المؤسسة

لرعاية الأشخاص ذوي الإعاقة الذهنية الصعبة بمدينة الدار البيضاء، ولكن خرج منها في نفس العام لأنه عرف انه دخل بدون هـــدف ولن يصل إلى أي شيء عبرها. ولكن حمزة إنسان مجتهد لأنـــه قـــد تعلم القراءة والكتابة بواسطة الهاتف المحمول رغم أن الأمور المادية لم تكن تساعد. وكان يتعلم اللغة الفرنسية قبل أن نغادر مدينة الدار البيضاء والمجيء إلى مدينة طنجة.

قالت لطيفة بعيون كلها مليئة بالأمل: يـــا خـــالتي فكـــرة " الشخص المقعد لماذا يقرأ؟ أو لماذا يستمر في الدراسة طالما لن يعمل " لدى بعض الأسر التي وضعيتها المادية لا بأس بها للأسف الشديد، وتوجد أسر أخرى لم يأخذوا الطريق الصحيح من أجل أن يواصلوا أبنائهم في وضعية إعاقة مسيرهم الدراسية مثل الأطفال الذين ليس لديهم إعاقة. كما فعلت أسرتي في طفولتي ولكنـــني قـــد أخـــذت الامتحانات الحرة وسيلة لإتمام دراستي بعمر العشرين سنة وانا الآن في الجامعة بشعبة علم الاجتماع. أعتقد بأن حتى حمزة يمكنه أن يتبع نفس الخطة إذا أردت على الرغم من وضعيته، لأنه صـــار لـــدى الأشخاص في وضعية إعاقة التسهيلات اللازمة من أجل إنجـــاز أي امتحان بأحسن الظروف، وهذا جيد بالنسبة لحمزة ولكنه يجب أن يرجع إلى بيع الخبز ليبين للمجتمع انه موجـــود رغـــم وضـــعيته، سامحيني يا خالتي عن إني ثرثارة كثيرا.

(نظرت إليها بالابتسامة) فقالت سعاد: لا، لست ثرثارة يا ابنتي بل كلامك كله أمل، يبدو أن حمزة قد أعجبه كثيرا، وخاصة عندما سمع أنه يمكنه اجتياز الامتحانات.

وقد شعرت أسرة سعاد بالراحة مع لطيفة لأن شخصيتها مثل اسمها لطيفة فعلا وقلبها مفتوح وطيب، ولطيفة أيضا شعرت بذلك، وكانت تبدو معهم كأنها ابنة هذه الأسرة هي أيضا، فأعطت لحمزة وعد من أجل أن تساعده على التسجيل وإنجاز الامتحانات الحرة في وقتها. وقد ظلت لطيفة معهم من الصباح إلى الليل وغادرتهم حوالى التاسعة مساءا، ولكن عند دخلت إلى المنزل ليس مثل عندما خرجت منه لأنّها أدخلت السعادة إلى البيت كاملا وزرعت الأمل الكبير في قلب حمزة وفي قلب والدته سعاد، والأمل هو أنه يمكنه أن يأخذ طريق المستقبل وان ينبه مثل جميع الشباب وان ينجح في الحياة، مما جعل سعاد تطمئن قليلا على مساره إذا جاء اليوم الذي لن تكون فيه معه، وسعاد مثل آباء الأبناء في وضعية إعاقة صعبة للغاية أنها تخشي من اليوم الذي فيه ستبتعد عن حمزة ما هو مصيره حينها؟ وفي تلك الليلة لم ينم حمزة وسعاد بسبب التفكير فيما قالته لطيفة.

وفي الصباح التالي خرجت سعاد من المنزل في أول الساعات، ولكن ليس كعادتها يعني أنها لم تذهب إلى عملها، فإلى أين ذهبت يا ترى؟

بعد ساعتين استيقظ أناس فاستغرب من أن والدته سعاد لم توقظه قبل أن تذهب ومن أنها لم توقظ حمزة لكي تلبي له احتياجاته، ففتحت الباب سعاد وكانت الفرحة واضحة في وجهها دون معرفة سببها.

وقال أناس: صباح الخير يا أمي، ألم تذهبي إلى العمل؟ لماذا؟!.

ردت عليه: صباح النور يا حبيبي، صحيح لم أذهب إليه لأني هيأت مفاجأة لأخيك وهي في الخارج، هيا اخرج لكي تعرف ما هي وفي نفس الوقت تراقبها حتى آتي به.

خرج أناس من المنزل وهو مسرع من أجل التعرف على ماهية المفاجأة هو أولا قبل حمزة، وهذا الآخر دخلت سعاد إلى الغرفة التي كان نائما فيها لكي توقظه.

نادت عليه قائلة: هيا يا حبيبي قم من النوم، يا حمزة، يا كسلان.

استيقظ حمزة على ابتسامة والدته وقبلته، وبسرعة وضعته على الكرسي المتحرك

قائلة: هناك مفاجأة في انتظارك ولكن يجب أن نسرع قبل أن يهرب بها أناس.

فرح حمزة كثيرا فرحة حياته عندما أخرجته أمه خارج المنزل لأنه وجد طاولة متحركة مليئة بالخبز، فعرف أنها وافقت على رجوعه إلى بيع الخبز، وتأكد مما فكر فيه انطلاقا من نظراتها إليه. فكان حمزة سعيدا بما فعلت والدته ولكنه نظر إليها نظرة أسف لأنه تذكر ذلك الالتزام.

فقالت: اوه!، لا تهتم بذلك الالتزام لأني في الصباح ذهبت رفقة عمك فؤاد إلى مخفر الشرطة، وفي الحقيقة لم يكونوا يريدون إلغاء الالتزام، وبعد حديث طويل تمكننا من إقناعهم فتم إلغاء الالتزام، ولكن مقابل ذلك وقعت التزام جديد على أن لن يحدث لك شيء مثل تلك المرة، وأنا أيضا لدي شروط على رجوعك إلى بيع الخبز، وأول الشرط؛ لن تخرج في الصباح بل بعد الظهر.

وبعد كلام سعاد هذا فقد اطمئن حمزة، مما جعله فرحا كثيرا ولكن ليس فقط بسبب رجوعه إلى بيع الخبز بل لأنّها أخيرا نظرت

إليه نظرة مختلفة عن قبل وكانت تنظر إليه بنظرة انه ابـــن الـــذي سوف يحتاج إليها طوال حياته كأن الله تعالى أعطها ابنا لن يكبر أبدًا ويجب عليها أن تكرس حياتها من أجله.. من أجل حمزة فقط وكانت تتساءل في نفسها دائما عن مساره إذا توفيت، وهذا السؤال كـــان في بالها دائما لدرجة أنها في أحد الأيام تمنت انه يموت معها، لـــيس علينا أن نلومها على هذه الأمنية التي كانت لديها، والآن قد غيرت النظرة قليلا إلى الأفضل لأنّها بدأت تفكر ب؛ ممكن انه يـــنجح في حياته على الرغم من أن إعاقته صعبة وعلى الرغم من نظرة المجتمع الظالمة.

دخلوا إلى المنزل وبعد الظهيرة خرجوا برفقة أناس، وكانـــت سعاد تقود كرسي حمزة المتحرك وأناس كان يقود الطاولة المتحركة، على الرغم أن هذا الأمر صعب كانت سعاد تبدو سعيدة بما تفعلـــه وحمزة كان سعيدا كثيرا، لما وصلوا إلى الحديقة التي كان حمزة يبيع الخبز هناك، وقد أتوا إليها أمام أنظار الناس الذين عرفوه من قبـــل والذين كانوا في يوم الحادثة، والبعض منهم قد فرحوا برؤيته وبعض الآخرين قد غضبوا منها وكان من هؤلاء الناس بائع الذرة ونظراته الغريبة يعني لا يمكن أن نعرف أنه أحب مجيء حمزة أم لم يحبه، فنظر إلى أناس ورائه وفهم ما يريد أن يقوله له ولكنه تجاهله وذهـــب إلى مدرسته، وقالت سعاد لحمزة إنها ستذهب إلى عملها ولكـــن لـــن

تذهب إليه بل ذهبت إلى المكان من الحديقة الذي لا يمكن أن حمزة يراها فيه فبدأت تراقبه سرا، وهو الآخر بدأ في عمله بكل شـــجاعة كما العادة لمواجهة المجتمع، ولكن في هذه المرة بثقة أكبر حيت أن والدته سعاد كانت تعرف ما يفعله، وطبعا بعض الناس لم يعجـــبهم هذا الأمر فذهبوا إلى الشرطة لكي يبلغوهم به ولكن وجدوهم انهم لديهم خبر بهذا

وقالوا لهم: أن أم الصبي قد وقعت على الالتزام، وحسب هذا الالتزام إذا حدث له شيء سيء حينها يمكننا التدخل.

إجابة الشرطة لم تعجبهم، البعض منهم قرروا الانتظـــار حـــتى يحدث لحمزة شيء والآخرين قرروا أنهم لن ينتظروا ولن يصـــمتوا على لذلك.. وفي العودة إلى حمزة ومع مراقبته سر من طرف والدته سعاد، فرأت أحد قد أخذ خبزا كثيرا من عند حمـــزة، أكثـــر مـــن النقود التي أعطاه، ولكنها لم تتدخل، وقررت أن تغمض عينيها لهذه المرة لكن حمزة لم يصمت وصرخ عليه فوقف الشخص أمام عيـــون الناس فقد أحس بالخجل وقرر أن يكمل لحمـــزة النقـــود. الكـــل أعجبهم فعل حمزة السريع ومنهم والدته سعاد وبائع الذرة.

وقال له بالابتسامة: أحسنت يا حمزة، أحسنت.

وهكذا مر يومه الأول في الحديقة بعد الحادثة وبعد أن وافقت سعاد على عمله. فجاء أناس إلى الحديقة لكي يرجع حمزة إلى المنزل ولكنه وجد امه تراقب حمزة عن بعد.

فقالت له: لا، لا تخبر أخيك حمزة بأني كنت أراقبه يا فتى.

فسبقتهم بالذهاب إلى المنزل وهو ذهب عند حمزة لكي يرجعه كما العادة، ولكن أمام عيون الناس في هذه المرة وباع حمزة كل الخبز، وبعدما عادوا إلى المنزل. أناس لم يخبر حمزة بما حدث له خلال اليوم وحتى بأمر ذلك السارق على الرغم أنها كانت تريده أن يخبرها، بهكذا بدأت قصة بائع الخبز المتميز المليئة بالعقبات وبالمعاناة وبالتحديات ولكن أيضا مليئة بالأمل الكثير وبحب الحياة مع أحزانها وأفراحها، واسم " بائع الخبز المتميز " سوف يسمي الناس حمزة بها بعد ذلك. وفي اليوم التالي اقترب حمزة من الشارع من أجل أن يبيع الخبز الكثير مع استمرار مراقبة سعاد السرية له، وهي الأخرى ستستمر لأيام عديدة وكانت سعاد تذهب إلى عملها في الصباح وفي المساء كانت تذهب إلى قرب مكان حمزة لكي تراقبه سرا بعد أن أخذت إذن من صاحب المقهى، وقد فرحت لطيفة بدموع الفرحة عندما رأت صورة حمزة وهو يبيع الخبز وقد أرسلتها لها سعاد، وفرحت لطيفة كأنها قالت " إني من حقي أن أعيش رغم أني

معاقة " في طفولتها القاسية، ولم تستطع أن تقاوم نفسها فذهبت عند حمزة وعانقته بشدة أمام أنظار جميع الناس واحدهم فكـــر فكـــرة خاطئة ولكنه بسرعة رجع عنها بسبب نظرة المجتمع الظالمة.

ومرت الأيام وجاءت أيام أخرى فصارت قصة حمزة معروفة في الشارع الطنجاوي وخاصة بعد أن قامت إحدى الجرائد بنشر مقال تحت عنوان " بائع الخبز المتميز " وقد جاء في هذا المقـــال (يوجـــد هناك في أحد شوارع مدينة طنجة شاب جميل من ذوي القـــدرات الخاصة يتحدى إعاقته ببيع الخبز في الشارع على أنها صعبة، يبيع في الشارع كأنه يقول للجميع انه أنا، وقد خرجت إليكم لكي أبـــين لكم وجودي على رغم وضعيتي الصعبة، ذلك المعاق انـــه أنـــا..) وكاتب المقال لم ير حمزة شكليا بل رآه روحيا، وقد رأى الكاتـــب حمزة ليست نظرة عامة التي يراه بها جميع الناس، فنظر إليـــه علـــى أساس أنه شاب حالم ولم يراه الناس بهذه الطريقة إلا قلـــيلاً مـــنهم، وهذا المقال قسم المجتمع الطنجاوي إلى فئتين، الفئة الأولى معارضة لهذه الفكرة بأن هناك شخص في وضعية إعاقة صعبة يبيع الخبـــز في الشارع وكل واحد منهم لديه أسباب خاصة به، والفئـــة الثانيـــة المرحبة بها وأيضا كانوا يشجعوها، وقد فرح حمزة كثـــيرا بعـــدما أخبرته لطيفة بشأن هذا المقال الذي جعله شجاعا كثـــرا وحمـــزة لم يكن لديه علم بأمر هذا المقال وفقط لاحظ أن في أحد الأيام هناك

شخص غريب صوره عندما كان يبيع الخبز، هو ولطيفة لم يكن لديهما علم بشأن ذلك، ولطيفة هي الأخرى لم تتخل عن الأمل الثاني الذي أعطته لحمزة بشأن الامتحانات الحرة وصارت أستاذته في مرحلة السادس الابتدائي حر وحمزة أيضا لديه رغبة في اجتياز هذه الامتحانات على الرغم أن الأمر ليس سهلا، كم من مرة ذهبت سعاد إلى مديرية التربية والتعليم من أجل تسجيله في الامتحان الأول " السادس حر ".. استمر حمزة في بيع الخبز بالشارع مع استمرار مراقبة سعاد السرية، وبعض الناس الذين كانوا في الفئة الأولى أصبحوا في الفئة الثانية لأنهم اقتنعوا بالفكرة والسبب هو شجاعة حمزة التي يعمل بها وأنهم رأوه يعمل بكل ثقة بالنفس على الرغم أن البعض منهم كانوا يقولون انه يستحق عملا أفضل من هذا العمل، استمر حمزة في عمله بسلم وأمن وبجانب ذلك كان يستعد لأول امتحان الذي سينجزه في حياته مع لطيفة، ولكن ذات شهر من الأشهر اختفى حمزة عن أنظار الناس فتساءلوا "أين اختفى بائع الخبز المتميز؟ إلى أين، إلى أين؟" وحتى لطيفة أيضا قطع الاتصال بينها وبين حمزة، وهو الآخر كان في ذلك الوقت يمر بأزمة صحية صعبة وطبعا كانت سعاد تعتني بحمزة مثل الرضيع بل الرضيع الرجل لأنه في الحقيقة يحتاج إلى أحد لكي يعتني به طوال عمره إلا إن ظهر العلاج له ولذوي الشلل الدماغي، وهذه الأزمة لم

تؤثر على صحته الجسدية فقط بل حتى صحته النفسية، كانت شجاعته بدأت تذوب ولكن حظه جيد عرفت لطيفة انه مريض في الوقت المناسب وذهبت إلى منزلهم لكي تراه فقد رأته مستسلما للحياة فغضبت منه.

قالت وهي غاضبة: يا حمزة يبدو أنك استسلمت للحياة ولعقباتها، وهذه الأزمة البسيطة قد رجعتك إلى الصفر وإلى الأفكار التي تجعلك تقول؛ اني مجرد معاق واني عالة وسأظل كذلك إلى الأبد.. هذا ما يريده المجتمع واعرف انك لن تصبر، سوف تموت بصمت، نعم انك معاق وانا لم أقل لك أنك إنسان طبيعي ونعم تحتاج إلى مساعدة في كل مكان وكل زمن ونعم أن وجهك لا يبدو كما تريد مثل الشباب في نفس عمرك، ولكنك يجب أن تتحدى جسدك وان تبقى لديك فكرة بأنك معاق ولا تستطيع فعل شيء فلا داعي لأن نستمر في هدفنا، لا يعني أني تخليت عن هدفنا بل أنت سوف تتخلى عنه بسبب الأفكار السلبية التي مازالت موجودة في ذهنك على الرغم أن لديك الرغبة في الوصول إلى حياة أفضل من حياتك الحالية وكان لديك الأمل، إلى أين اختفى ذلك الأمل أين.. أين؟ في الأخير لديك القرار النهائي في أننا سنستمر في هدفنا أم لا، سامحني يا حمزة ووداعا.

لقد غادرت لطيفة وعيناها مملوءة بالدموع. وقد غضبت سعاد منها على كلامها لحمزة، وهو الآخر ظل يفكر بكلامها طوال الليل ولم ينم إلا على ساعة الرابعة صباحا بسبب التفكير، وحينما استيقظت سعاد وجدت في هاتفها رسالة من حمزة،

قال فيها: صباح الخير يا أمي، أصبحت بخير وأريد الرجوع إلى عملي.

وبعد الظهر رجع حمزة الى بيع الخبز بالشارع، الكل فرح بسبب رجوعه إلا القليل من الناس الذين لم يحبوا رجوعه ومازالت لديهم الفكرة الظالمة. هذه المرة عمل حمزة في بيع الخبز بدون مراقبة سعاد السرية لأنّها اطمأنت على أنه سيكون بخير وبأمان. فقام أناس بإخبار لطيفة برجوع حمزة. في نفس اليوم هو وهي رجعا إلى الاستعداد لموحد السادس الابتدائي حر على الرغم من أن سعاد كانت غاضبة من كلامها بالأمس. رغم ذلك صمتت ولكن مع الأيام اختفى هذا الغضب ورجع حب لطيفة في قلب سعاد لأنّها عرفت أن لطيفة قالت ذلك الكلام من أجل مصلحة حمزة. وطبعا فسعاد قد ظلمت لطيفة حينما أتت لزيارة حمزة وأن الإنسان ممكن أن يظلم أخيه الإنسان في ساعة الغضب، لذلك لا يجب أن نحكم على أي كلام في ساعة الغضب كما قال تعالى (وعسى أن تكرهوا

شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) صدق الله العظيم، وهذه الآية الكريمة تعلمنا ألا نحكم على شيء من أول نظرة ولعله يكون خيرا لنا ونحن قد حكمنا عليه أنه شر. وهذا ما يفعله العديد من الأشخاص ويظلمون في الدرجة الأولى أنفسهم.

وهكذا استمر حمزة يحاول أن ينجح في تغيير حياته من حمل ثقيل إلى شاب يحاول أن يبني مستقبله رغم وضعيته الصعبة من أجل أن يتحمل عن والدته القليل من المسؤولية التي تحملها من الناحية المادية فقط ومسؤوليته الصحية لا يستطيع أن يأخذها منها إلا... ومن أجل أن يبين لعموم الناس أن إعاقته ليست نهايته في هذه الحياة، أو بمعنى آخر يستطيع حمزة أن يكون موظف في البنك رغم وضعيته الصعبة بشرط انه من الضروري مساعدته في ذلك وهذا ما أراد حمزة أن يبينه لعموم الناس. يا ترى هل سينجح في تحقيق ذلك؟

وبعد خمس سنوات من، تغيرت أشياء كثيرة في حياة حمزة وأسرته فقد أستطاع الانتصار على نظرة المجتمع، وأصبح لدى الأسرة محلا لبيع الخبز والحلويات بفضل بيع الخبز في الشارع واسم هذا المحل " بائع الخبز المتميز "، ومن جهة أخرى فقد أستطاع حمزة الحصول على شهادة البكالوريوس في شعبة العلوم الاقتصادية بفضل الله في أول الأمر وبفضل أستاذته لطيفة التي هي الأولى من قد

وضعت ثقتها في هذا الحلم ولكن قد حدث ما تمنته مع حمزة ولم يكن أملها كأمنية تمنتها في ذات يوم وذهبت مثل الغيمة بلا رجعة، فقد نجح حمزة والآن يسعى إلى حلمه الحقيقي عبر الجامعة والحلم هو أن يصبح باحث في الاقتصاد وهذا العمل يكون سهلا له لأنه يعمل باستخدام لوحة إلكترونية، وليس حمزة وأسرته فقط من تغيرت حياتهم بل نوال أيضا غيرت حياتها حينما تزوجت من صلاح ومعه عاشت سعادة كبيرة وحب أنساها الظلم القاسي الذي تعرضت له من طرف زوجها الأول، فقد سافرا إلى الصين وأحبا الثقافة الصينية لهذا قررا أن يقيمان هناك، وأما غيثة ابنتها فتقوم في بعض الأحيان بزيارتهما وقد أنهت دراستها الجامعية بفضل مساعدة صلاح في كندا.

وفي عودة إلى محل حمزة أو محل الأسرة كما كان يعتبره، لم يكن يتميز فقط بصاحبه بل أيضا بعماله حيث أن لكل واحد منهم حكاية ولكن المشترك بين الحكايات هو أنها مليئة بالظلم: هناك مصطفى مبدع في تحضير الحلويات التقليدية، وأصله من مدينة فاس وبعد وفاة زوجته قد اتهمته امرأة بتهمة خطيرة فقط رأت طفلا صغيرا يدخل إلى بيته ولهذا خرج من مدينة فاس بدون وعي، وهناك مليكة هي أيضا مبدعة في تحضير الخبز التقليدي وأصلها من إقليم بني ملال، وبعد وفاة زوجها أهله قد فعلوا المستحيل من أجل أن

يكرهها أبناؤها فنجحوا في ذلك، وليس أبنائها فقط بل ناس القرية التي كانت تعيش فيها لأنهم قد اتهموها بأنها امرأة ليست جيدة وبأنها خائنة، وفي ليلة من الليالي غادرت القرية بدون أبنائها إلى المجهول بعد أن تعرضت لظلم شديد. كان هناك أيضا يوسف أصله من فلسطين الحبيبة.. من بلد الأحرار، الظلم الذي تعرض له غير مباشر وهو محروم من زيارة بلده الأصلي ولكن أصبح لديه بلد الآخر وهو المملكة المغربية، وفي الحقيقة أن الكل من حقه أن يزور فلسطين وعاصمتها القدس ولكن هذا مستحيل بسبب الناس الظالمين جدا في العالم، ولكن جده وعائلته هم من تعرضوا إلى أقسى ظلم لأنهم قد أخرجوا من بيوتهم وحتى من بلدهم بالقوة وبلا رحمة وظلوا في الصحراء لمدة سنتين قبل أن يختاروا بلد الاستقرار، وقد طلبوا من بلد ابن بطوطة العيش بالأمن والسلام فوجدوا أهل البلد يرحبون بكل الناس ولديهم حب خاص بأهل فلسطين، وأصبح البلد بلدهم الثاني حيث تعيش العائلة إلى الآن. وهناك خالد لا أحد يظلمه ولكن قد ظلم نفسه كثيرا، وكان فنانا كوميديا وكانت لديه موهبة جميلة في مجال الفن، ولكنه اتبع طريق الجهل فضاع مستقبله في المجال حيث أنه سمع كلام الجاهلين، وحينما عرف انه كان مخطئا سلك طريقا أسوء من أجل أن ينسى وهو طريق الإدمان، وفي الأخير حمزة ووالدته سعاد قد تعرفنا على الظلم الذي تعرضوا له

عبر هذه الرحلة الإنسانية: سعاد قد تعرضت إلى الظلم الشـــديد في عملها القديم وأيضا من طرف جيرانها القدماء وأما حمزة فقد تعرض إلى الظلم من خلال نظرة المجتمع الى الشخص في وضـــعية إعاقـــة وأيضا من طرف سياسة البلد اتجاه الأشخاص في وضعية إعاقة.

في أحد زوايا المحل كانت هناك معلقة صورة ليامنة وزوجها.. المرأة التي هي أول من عمل مع حمزة، فقد توفيا منذ ســـنتين. هـمـــا أيضا تعرضا إلى الظلم الشديد عند وفاتهما: ذات يوم قد اســـتيقظ زوج يامنة، هي كانت نائمة، من جانبه وهو لم يســـتطع الحركـــة بسبب المرض، نادى عليها من أجل أن تستيقظ فلم تصدر ردا ولا حركة ثم أعاد النداء ولكن حتى هذه المرة بلا رد منها، فبدأ يقلـــق فقد نادى عليها بأعلى صوته ولكن بلا رد تأكد حينها أن زوجتـــه قد توفيت.. توفيت يامنة بعد صراع طويل مع المرض، بكى الرجل زوجته كثيرا، كثيرا وحينما استسلم إلى الأمر الواقع علم أنه يجـــب أن تذهب يامنة إلى المقبرة. وجد نفسه غير قادر على الحركـــة ولا على أن يتواصل مع أي أحد في الخارج، فصرخ بأعلى صوته علـــى أمل أن أحدا يسمعه ولكن لم يسمعه أحد، وكان حمزة وأســـرته في تلك الفترة يقضوا عطلتهم في مدينة قريبة من مدينة طنجة، فاستمر الزوج في الصراخ لساعات طويلة ولكن لا يوجد من يجيب وقـــد بقي على هذا الحال مدة 4 أيام وفي يوم من هذه الأيام كانت بنت

الجيران قد سمعت شيئا داخل منزل يامنة فاقتربت من الباب ولكن نادت عليها أمها فذهبت عندها، وفي اليوم السادس لم يستطع أن يصبر بعد فالتحقت روحه بروح زوجته عند الرفيق الأعلى، حتى هو قد توفي بسبب عدم الاهتمام به وبسبب حزنه على زوجته وبأسباب أخرى صحية، وطبعا لا أحد صار لديه خبر بوفاته وعند عودة حمزة وأسرته إلى مدينة طنجة ذهب أخيه أناس إلى منزل يامنة من أجل أن يطلب منها تحضير الخبز كما العادة ولكنها لم تخرج إليه هذه المرة، فانتظر أمام الباب بعض من الوقت على أمل أن ترجع إلى منزلها ولكنها لم ترجع، فسأل بعض الجيران عنها ولكن لم يجد عندهم إجابة، حينما رجع إلى المنزل قام بإخبار حمزة وسعاد أنه لم يجدها في بيتها، واستغرب حمزة وسعاد من الأمر لأنّها لا تذهب إلى أي مكان آخر إلا إلى عملها، وفي اليوم التالي ذهب إلى منزل يامنة مجددا وطبعا لم تخرج إليه ولم تتكلم معه، فسأل أحد جيرانها والجار كان يتحدث إلى صديقه، وعندما كان الجار يتحدث إلى أناس تدخل صديقه قائلا: أعتذر عن المقاطعة، ولكن يا سعيد هل صاحبة المنزل الذي تصدر منه رائحة غريبة؟. أظن أنه يجب أن نخبر الشرطة لتأتي إلى هذا المنزل، فقم بالاتصال بهم..

وقام الجار بما قاله صديقه.. بالاتصال بالشرطة وقد جاءت ثم دخلت إلى المنزل فوجدت شيئا جعل الجيران في حالة صدمة كبيرة،

قد وجدت الشرطة أن الرجل وزوجته ميتين لأيام عديدة، فمن المسؤول في هذه الحادثة يا ترى؟ بعض الجيران لم يستطيعوا تخطي الصدمة والبعض الآخرين كانوا يلومون نفسهم على ذلك، ولكن يوجد البعض الآخر لم يهتموا وحين سمع حمزة وسعاد الخبر حزنوا كثيرا وخصوصا عما حدث أثناء وفاتهما، لهذا صورتهما توجد على جدار المحل بالإضافة إلى هذا؛ لم ينس حمزة أن يامنة لديها فضلا فيما وصل إليه ولو جزئيا، هذا ليس مجرد تعريف بسيط لطاقم المحل أو لوظائفهم بل هذا نوع من أنواع الظلم الموجود في هذا العالم والذي مصدره الإنسان يمارسه على أخيه الإنسان أو على الطبيعة وأحيانا يكون على نفسه. وأما أسبابه فهي عدة أسباب لعلها يكون الإنسان لا يستطيع أن يتحكم في غرائزه مثل الأنانية، ومشكلة أكبر أن كل إنسان ظالم يفكر بأنه مظلوم ولديه الحق فيما يفعله.

كانت مهمة حمزة في المحل مراقبة المداخيل وتسويق المنتجات، وكان يحاول أن يكبر المشروع العائلي، بمناسبة نجاحه قامت سعاد بحفل كان مفاجأة له ولكن شيئا كان في انتظاره وفي انتظار لطيفة أيضا بلسان والدته سعاد من خلال الحفل هو مفاجأة كبيرة، والكل كان فرحا وسعيدا بنجاح حمزة وأما هو ولطيفة فقد كانا سعداء جدا بإنجازهما، وكانت مع لطيفة والدتها، هو وهي كانا يبدوان

متفاهمين كثيرا ما لاحظته سعاد والأخيرة لم تكن عيناها تنظر إلى شيء آخر إلاهما، فأخذت الكلمة وصار الكل ينظر إليها.

وقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شكرا لحضوركم وفي الحقيقة أنا لم يسبق لي أن تحدثت أمام الناس، الآن أنا خجولة كثيرا ولكن سأقول ما في قلبي، اليوم اجتمعنا من أجل الاحتفال بنجاح ابني حمزة، وحمزة في ذات زمن قريب كان مستقبله مجهولا وكان يعيش حسب نظرة المجتمع، وفي الحقيقة أنني حتى أنا أيضا لدي هذه الفكرة الظالمة وكم ليلة قد سهرتها بسبب التفكير في إذا ابتعدت عنه ماذا سيحدث له، لو لم يقل حمزة لهذه النظرة لا ولو لم تدخل إلى حياته إحدى الأميرات الجميلات لكان مازال يعيش تحت تأثير تلك النظرة، وفي القصص الخيالية يكون الأمير هو يساعد الأميرة من أجل تغيير حياتها أو من أجل أن ترجع إلى حياتها الحقيقية، ولكن في قصة ابني حمزة قد حدث العكس حيت الأميرة هي التي ساعدت الأمير على تغيير حياته إلى الأفضل، ليصل إلى هنا بفضلها وقد اطمأنت عليه وعلى ما سيكون إذا ابتعدت عنه في يوم ما، ولكن مازالت لدي أمنية وانا متأكدة أن تلك الأميرة هي التي تستطيع أن تحققها والأمنية هي؛ أتمنى أن أرى أبناء حمزة قبل أن أغادر هذه الحياة، يا ابنتي لطيفة قد تحدثت إلى أمك السيدة عائشة

قبل هذا الحفل وأما الآن أريد أن أسألك هل تقبلين طلبي هذا؟ يعني هل تقبلين أن تتزوجي من حمزة على الرغم من أن لديه إعاقة صعبة؟

(وتفاجأ الكل وفرح، وأما حمزة شعر بالتوتر وشعرت لطيفة بالخجل) ردت عليها: أولا يا خالتي سعاد إن حمزة رجلا رغم حالته الصحية الصعبة ومن حقه أن يعيش كل الحياة بكل قواعدها، فنعم من الممكن ولكن أنا وهو يجب أن نتحدث عن هذه الخطوة المهمة التي سوف نقوم بها في حياتنا، سوف تصبح حياته حياتي وسوف تصبح حياتي حياته وبعد أن نتحدث سنأخذ قرار نهائي.

وصار كل الناس في الحفل ينتظرون القرار النهائي من لطيفة وحمزة، وهو الآخر أصبح متوترا كثيرا بسبب كلام سعاد وأيضا بسبب إعاقته. ق استمر الحفل بعد ذلك ولكن لطيفة وحمزة لم يستطيعا أن يتحدثا ولا أن ينظرا إلى بعضهما البعض. وبعد 3 أيام من الحفل كان حمزة يتصفح الإنترنت عبر هاتفه وبطريقته في التحكم به في غرفته، فجاءت لطيفة وشعر حمزة بالتوتر من قدومها ثم جلست إلى جانبه، ورأت طلب مكتوب من أجل دخوله إلى الجامعة وقرأته.

قالت: جميل، جميل هذا الطلب.

ولم يستطع النظر إليها وفقط ابتسم للتعبير عـــن الشـــكر، ثم قالت: يا حمزة لماذا لا تريد النظر إلي؟ ولماذا أنت متوتر وخجـــول؟ هل السبب هو ما قالته أمك في حفل نجاحك؟

فقال عبر الكتابة: الذي قالته غير معقول حيث مســـتحيل أن فتاة جميلة مثلك تتزوج من رجل رضيع يحتاج إلى المساعدة في كـــل الأشياء التي يرغب في فعلها، وحتى طريقة أكلـــه ليســـت عاديـــة وأحيانا تكون مقرفة...

فقالت: ولكنني أحبه.. أنا أحب ذلك الرجل على الرغم مـــن وضعيته، أنا أحبك يا حمزة، ونعم هناك بعـــض الصـــعوبات الـــتي ستواجهني في حياتي معك ولكن كل هذا لا يهم، إذا كنت تحبـــني مثل ما أحبك وإذا وافقت على أن أكون زوجتك وحبيبتك سوف أواجه هذه الصعوبات بسعادة وبحب.

ورد عليها عبر الكتابة: ولكن هذا ظلم لك يا لطيفة وأنـــتِ تستحقين ما هو أحسن ما هو أكثر من هذا لأنك...

فقالت له: ولكن ما هو هذا الظلم يا حمزة؟ وهل من الظلم أن أكون زوجة الرجل الذي يحبه قلبي، والظلم بالنســـبة لي هـــو؛ ألا تتزوج بي وألا أصبح زوجتك، وطبعا إذا كنت أنت أيضـــا تحبـــني

وقلبي يحس بأنك تحبني وفقط تخفي مشاعرك الحقيقية، أرجـــوك لا تخفيها.

فنظر إليها بابتسامة جميلة من أعماق قلبه، فنظـــر إلى الـــدرج وحاول فتحه ثم ساعدته لطيفة في فتحه فقد وجدت هدية ويبدو أنها لها. اشتراها لها بمساعدة والدته سعاد والهدية عبارة عن خاتم يعـــني أن حمزة قد عرض على لطيفة الزواج وطبعا قد وافقت بدون تفكير وفرحا... ففرحت معهما كل العائلة وحتى أهل لطيفة لأنهم يعرفون أنها لا تفعل شيئا إلا إذا كان سيجعلها سعيدة في حياتها، وطبعا ليس كل الناس أعجبهم هذا الخبر وفي نفس الوقـــت كـــانوا منتقـــدين للموضوع، والبعض منهم قد عبر أن هذا ظلم للطيفة كأن روحهـــا ستموت مع شخص لا يستطيع فعل شيء ولو حتى أن يكون زوجا هذا ما كانوا يظنونه، وهم بعيدون عنه ولم تهتم لطيفة بكلامهم بـــل تمسكت بحبها لحمزة بكل قوة وبكل شجاعة لأنّها كانت تحبه حقـــا رغم وضعيته، تحبه كما هو.

وبعد عدة أيام وبعد إتمام إجراءات الزواج التي لم تكن ســـهلة حيث أن حمزة لديه إعاقة صعبة، وكانت هناك الإجراءات الخاصـــة لعل أهمها موافقة سعاد والدته لأنه في نظر القانون المغربي مازال في رعايتها ورسالة رغبة لطيفة في الزواج منه بالإضافة إلى تقرير طبي،

وبعض من هذه الإجراءات جيدة ولكن في الحقيقة أن القانون المغربي لا يتحدث عن إعاقة الشلل الدماغي بالضبط مما يتسبب في إقصاء وظلم وأحكام خاطئة وعقبات قانونية في كل الحياة وليس فقط في الزواج زواج لهذه الفئة. فوافقت محكمة الأسرة على طلب الزواج وبعدها جاء يوم الزفاف وكان الكل سعيدا والكل كان على ما يرام، وخاصة المتزوجين لطيفة وحمزة كانا جد سعداء، ولم يكن يظهر على لطيفة الندم ولا الظلم بسبب أنها تزوجت من رجل لديه إعاقة صعبة للغاية وطوال العمر يكون واجبا عليها أن تعتني به مثل الأم تعتني برضيعها بل العكس تماما، كانت تظهر عليها الفرحة الكبيرة والسعادة بسبب أنها تزوجت من تحب وهي تحب حمزة رغم وضعيته، وإن الحب إذا جاء لا يعترف بحدود أو باختلاف وحمزة هو الآخر كان يقدر كل ما عملته معه منذ أتت إلى مترلهم قبل ست سنوات، حينها قدمت له فرصة العمر في هذه الحياة وأما الآن فقد قدمت له سر سعادة الحياة وهو الحب، وحتى هو كان يحبها كثيرا وهي مازالت ستقدم له الكثير بعد.

من الصعب أن يقوم حمزة بجميع تقاليد الزفاف وبعضها مستحيل أن يفعله ولكنه كان يقوم بالبعض منها بمساعدة زوجته لطيفة وبمساعدة المرأة التي تساعد المتزوجين والتي تسمى في الثقافة المغربية ب " النكافة " وفريقها، كان حمزة يريد أن يكون مثالي من

أجل سعادة زوجته ومن أجل ألا تحس بأي نقص رغم أنها كانت تحبه بشكله وأفعاله التي أحيانا تشبه تصرفات الرضيع، وبالنسبة للناس كانوا سعداء ومشجعين للمتزوجين وكانوا أيضا المنتقدين وكانوا الذين مازالوا لم يتقبلوا زواج حمزة وهو في هذه الوضعية.

وكان من كلامهم وأسئلتهم: تبا لاختيار لطيفة وبماذا كانت تفكر حين وافقت على الزواج من هذا السيد.. تبا للحب إذا كان هكذا وإذا كان اني أقبل أي شخص ولكن هل شكله يشجع على أن تسقط في غرامه النساء؟ لا أعتقد ذلك... ربما لطيفة تريد رضيع وليس زوج... قد ظلمت نفسها معه.. كيف تحدث العلاقة بينهما وهل هو قادر عليها؟

هؤلاء الناس ليسوا من أسرة لطيفة أو أناس قريبون منها، فلاحظت لطيفة ذلك من عيونهم ومن أجل الدفاع عن اختيارها اكتفت بالنظر إليهم بابتسامة وإلى زوجها حمزة أيضا بابتسامة وبالكثير من الحب كأنها تقول بعينيها: هذا السيد أنا اخترته لكي يكون شريك حياتي وزوجي وحبيبي رغم وضعيته هذه لأنه يحبني حقا وليس جسديا فقط بل روحيا، ولديه قدرة على أن يجعلني أسعد نساء الكون، يا ليت لو تروه كما أراه لكي تعرفوا عن ماذا أتحدث...

وكلام هؤلاء الناس فيه إهانة لحمزة ولكن في نفس الوقت الأسئلة الغامضة والعميقة تستحق الإجابة عليها والدردشة لدى الإعلام ولكنه كما ذكرنا سابقا لم يهتم بذوي الإعاقة بشكل كافي وبالحقيقة أن حمزة أيضا كانت لديه بعض من هذه الأسئلة، والكل، غير هؤلاء الناس، كان سعيدا بزواجهما رغم أن كل واحد منهم يراه بطريقة مختلفة عن الآخر ؛ أحد يعبر عن هذا الزواج هو عمل إنساني ستقوم به لطيفة اتجاه حمزة، والآخر بالفعل قد أحس بالحب الكبير الذي يجمعهما، وهذا ما لاحظته سعاد حينما كانت تنظر إليهما بابتسامة باهرة يا لها من ابتسامة كانت !و لاحظت أيضا أن هناك تفاهم كبير بينهما، فجاء عندها فؤاد

وقال: هنيئا لك يا سيدتي سعاد لأنك ارتحت من التفكير بحمزة...

فردت عليه: أي راحة تقصد؟ حمزة هو ابني وسأظل أعتني وأفكر به طوال عمري رغم أنه تزوج، هذا لا يعني أني لا أصدق حب لطيفة له بل متأكدة أنها تحبه حقا، ولكن أشعر بأنه صارت لي مهمة أخرى في هذه الحياة منذ ولادة حمزة ويجب أن تظل معي طوال عمري إذا وافقوا حمزة ولطيفة.

قال فؤاد: لا أقصد ذلك وقصدت أنك اطمأنت على أنه لـــن يعيش وهو يشعر بالنقص حيث أنه تزوج ودرس الحمد لله، وطبعـــا سوف نعتني به طوال العمر وهو أشعر بأنه ابني أنا كذلك، بالفعـــل هو ابني وأيضا سوف نعتني بأبنائه إن شاء الله، يا سيدتي أريـــد أن أتحدث معك في موضوع هل يمكن أن نلتقي م خارج البيت علـــى وجبة غذاء مثلا؟

ردت عليه: أنا وحمزة نعرف ذلك، شكرا جزيلا على وجودك في حياتنا، من أجل أن ارتاح كليا يجب أن أقوم بشيء واحد فقط، هل يمكن أن ترافقني إلى مكان ما قبل ذلك اللقاء؟

سأل فؤاد: طبعا يا سيدتي سعاد، إلى أين؟!

بعد مدة شهر كانت سيارة فؤاد في طريقها إلى مدينـــة الـــدار البيضاء وبرفقته سعاد، فقد رجعت إلى المدينة التي تعرضت فيها إلى الظلم الشديد والقاسي من أجل سبب واحد. وفي ذلك الوقت كان حمزة وزوجته لطيفة في تركيا يمضون شهر العسل هناك، والمتزوجين قد وجدوا تشجيع لدى الأجانب.

في أول وصول لسعاد وفؤاد إلى مدينة الدار البيضاء توجهـــا بمباشرة إلى الفندق القديم الذي حيث كانت تعمل كعاملة نظافـــة

للبحث عن مديرها القديم خالد: وهو من الأسباب الرئيسية للظلم الذي تعرضت له ولكنهما لم يجدوه لأنه ترك العمل به ولاحظت سعاد أن العديد من الأشياء قد تغيرت في الفندق ولكنها كانت قد لاحظت ذلك من بابه فقط ولم تكن ترغب في الدخول إليه خوفا من أن أحدا يعرفها يراها قبل أن تلتقي بخالد، ولهذا دخل إليه فؤاد ليسأل عنه أين يمكنهم إيجاده لم يكن الأمر سهلا لأن خالد لم يترك أثرا له وراءه. وحينما كان فؤاد يريد الخروج وهو فاقد الأمل في الوصول إلى خالد أوقفه أحد حراس الأمن

وقال: يا سيدي اعتذر على اعتراض طريقك لأني أريد أن أسألك: هل تبحث عن مسؤول عن تنظيف القديم * سيد خالد *؟

أجاب فؤاد: نعم يا أخي الكريم، فهل أنت تعرف مكانه؟

ورد عليه: نعم ولكن مازال لم أشرب قهوة الصباح، وخالد كم كان غبيا فاستحق كل ما حدث له حيث كان يعمل في نفس مكان عمل زوجته و....

فقال له فؤاد: سأعطيك ما تشرب به القهوة وفقط أعطني عنوانه.

فقام الحارس بإعطاء عنوان خالد إلى فؤاد، فقد ذهب عند سعاد فرحا ثم ذهبا إلى مكان خالد فكانت المفاجأة لسعاد ولكي تهدأ النار التي في قلبها، قبل أن تفعل ولو شيئا واحدا، فالقدرة الإلهية انتقمت من خالد بأقسى انتقام جعله من مسؤول عن تنظيف بفندق معروف ليصبح حارس مربد السيارات، زوجته صدقت أن سعاد هي كانت تقترب منه وهو كان يحاول الابتعاد عنها وأما سبب أنه لم يطردها من الفندق هو أن لديها ابن من ذوي الاحتياجات الخاصة، هذا ما قاله لها ولكن بعد مشكلة سعاد حولي ثلاث سنوات ونصف عرفت حقيقته وعرفت كم انه حقير، لأنّها وجدته مع امرأة أخرى في بيتها بكل وقاحة مما جعلها تكرهه كثيرا ووعدت نفسها بالانتقام، ومن أجل ذلك ذهبت عند مديريهم في الفندق لكي تكشف لهم الفساد الذي كان يفعله داخل الفندق من لعب بسلعة مواد التنظيف وساهم في تسول بداخل الفندق، مما كون نار الغضب في نفس المديرين ثم مباشرة تم طرده من الفندق وتم نشر خبر طرده وسببه فسمعه كل المهنيين في المجال مما تسبب في أن لا أحد يريد أن يعمل معه، وليس هذا فقط بل زوجته أخذت منه ما كان يملك بعد طلاقهما فرجع إلى أكثر من نقطة الصفر، وصارت أموره جد صعبة لدرجة أنه أصبح ينام في الشارع لعدد من الليالي بل للعديد من الأشهر، إنها الحياة وأكيد لابد أن تعاقب

المجرم والظالم قبل العقاب الكبير الذي في انتظاره عنـــدما يرحـــل منها. فذهب فؤاد وسعاد عنده فنظر إليهما باستغراب

وسألت سعاد: السلام عليكم، ألم تعرفني يا سيدي خالد؟

قال لها: أوه!، سعاد!؟. سعاد التي كانت تعمل في فنـــدق دار وليد؟

وردت عليه: نعم سعاد.. سعاد التي قد تعرضـــت إلى الظلـــم الشديد في عملها وفي حيها مما جعلها تتخلى عن بيتها وعن حياتهـــا في مدينتها الأصلية وتذهب إلى المجهول، وكان معها أبناؤها الإثنين وأنت من أسباب الظلم، نعم أنا سعاد.

فقال بوقاحة: لست من أسبابه وماذا فعلت؟ وفي ذات ليلة قد أفصحت عن مشاعري وحينها لم أكن في وعي واعتـــذرت منـــك حينها على الرغم أني كنت أرغب في الحقيقة لو أنك وافقت، بالتالي إني لست مسؤولا عما حدث لك بعدها، فلماذا بحثتي عني وأتيـــت عندي؟ وهل من أجل أن تلوميني على كل ما حدث في تلك الفترة؟

ردت سعاد بغضب: بل كنت أنت هو المسؤول الرئيسي، لأني جئت عندك لكي تذهب معنا إلى حيي القديم من أجـــل أن تبـــين براءتي من كل الأكاذيب التي انتشرت بعد فعلتك معي يعني أريدك

أن تقول إني لم اقترب منك وكنت أحترم نفسي عند أداء عملي في الفندق.

قال وهو ضاحكا: إلى أين تريدين أن أذهب معك؟ وماذا تريديني أن أقوله؟ قلت إني لست مسؤولا يا أيتها المرأة ولكن يبدو أنك قد استفدت من رحيلك، ويا أيها الرجل خذ زوجتك وارجع إلى سيارتك واتركوني أكمل عملي.

فقال فؤاد بانفعال: يا، يا حقير مازال لم أضع عليك يدي لأني احترم سيديّ سعاد، وإذا لم تكن معنا سأنتقم منك عن كل دمعة نزلت من عينيها وعن كل حرج أحس به قلبها الطيب بسبب رغبتك الأنانية، فإذا كنت تريد الاستمرار في هذا العمل يجب أن تفعل ما أمرتك به سيدتك سعاد... يا سيديّ سعاد هيا لننتظر هذا الغبي في السيارة.

سعاد وفؤاد ذهبا إلى السيارة وأما خالد نظر إليهما من الوراء، وعلى الرغم ما حدث له مازال وقحا ومازالت لديه تلك النظرة التي تشبه الذئب. وبعد مدة قصيرة أتى كل من سعاد وفؤاد وخالد إلى حيها القديم وكل ما وضعت سعاد قدمها على أرض الحي حييا جرح الماضي كأن الزمن قد رجع إلى لحظة رحيلها من الحي ولكن منعت الدمعة من النزول من أجل ألا يظهر عليها الضعف ولا الحزن

فتعرفوا عليها وبدأوا يسألوا (لماذا رجعت هذه المرأة؟ لماذا.... لماذا؟ وما هو سبب عودتها؟) وهي نظرت إلى بيتها القديم وجدت امـــرأة غريبة تنظر من نافذة بيتها فكانت ستقول (يا أيتها المرأة ماذا تفعلين في بيتي؟) ولكن ذكرت الحقيقة المرة بأنها قد باعته، فخرجت مـــن أحد البيوت السعدية مع زوجة ابنها والسعدية هي التي كانت تعتبر سعاد كابنة لها ولكن بعد ما وقع غيرت هذه النظرة الطيبة فكانـــت ممن ظلموها، فرأت سعاد السعدية ووجدت أنها دخلـــت ســـنوات الشيخوخة كثيرا، ثم اقتربت منهن ومشاعرها متضاربة بينها

وقالت: السلام عليكم يا سيدتي السعدية، كيف حالكم؟

ردت عليها باستغراب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتـــه، الحمد لله شكرا، لكن من أنت يا ســـيدتي؟ اعتـــذر منـــك لأني لم أعرفك.

فقالت سعاد: يا للهول، هل نسيت ابنتك؟ أو يعني هل نسيت تلك الفتاة التي كنتي تعتبرينها مثل ابنة أخرى لك؟ لا تقولي انـــك نسيت إبني.. هو حمزة.

(لقد تفاجأت السعدية كثيرا وفي الحقيقة أنها فرحت في داخلها ولكن لم تستطع أن تعبر عن هذه الفرحة أمام سعاد، وأما زوجة ابنها تعرفت على سعاد منذ البداية)

سألت السعدية: سعاد؟!.. سعاد ابنة أُختي زهور؟ وما هو سبب رجوعك إلى هنا؟ ...

فقالت الزوجة: مرحبا يا أُختي سعاد، كيف حالك وحال حمزة؟ أين هو الآن؟

أجابت سعاد: بخير شكرا يا أُختي فتيحة وماذا عنكم؟ حمزة سافر مع زوجته حالي..

فقطعتهم إحدى الجارات قائلة وقد اقتربت منهن: ماذا؟ حمزة تزوج أليس كذلك؟ وهل هذا ما قصدتيه؟ ولكن كيف أستطاع بوضعه؟ هل وجدت طريقة ليعالج بها؟!.

وردت سعاد وهي غاضبة: صحيح أنه قد تزوج من إحدى بنات الناس ولكن لم يعالج، وإعاقته هي قدره ويجب أن يعيش بها طوال عمره في هذه الحياة، ونفس الوقت يجب أن يعيش الحياة كلها وهذا الأمر تأخرت لكي أعرفه، ولكن لماذا أرى في عيونكن

الاستغراب والتعجب؟ وهل حرام أن شخص مثل حمزة يتزوج وان يكون أسرة؟

(كانت الجارة في حالة صدمة واستغراب، وأما السعدية وزوجة ابنها فقد تفاجأوا وفرحوا من القلب لحمزة).

فقالت السعدية وهي لم تستطع أن تفصح عن مشاعرها الحقيقية: مبروك لابني حمزة وهو يستحق كل ما يستحق الشباب، والآن أجيبيني يا سعاد لماذا رجعت بعد غياب يصل إلى عشر سنوات؟ وتعرفين أنك غير مرغوبة في هذه الحارة بعد ما فعلته.

ردت عليها سعاد: طبعا سوف أجيبك يا خالتي السعدية، عفوا، قصدت يا سيديّ السعدية. وأتيت اليوم من أجل أن أثبت اني بريئة مما اتهمتموني به...

فقالت السعدية وهي غاضبة: أي براءة التي تريدين أن تثبتيها؟! وفي الماضي استحققت ما حدث لك عما كنتي تفعلينه.

صاحت سعاد بأعلى صوت قائلة: كفى، كفى من الظلم لي، وكفى ما عانيت منه لأنكم ظلمتموني كثيرا، ولست أنا فقط بل أبنائي أيضا قد عانوا من ظلمكم. ثم قالت: أرجوك يا سيديّ

السعدية إذا تحبين ابني حمزة والمرحومة أمي زهور اجمعي الجـــيران في بيتك لكي أتمكن من التحدث معهم ومن أن أثبت لهم براءتي.

ردت السعدية: مستحيل!.. مستحيل أن أدخل إلى بيتي عاهرة أو أن أدعو الناس إلى التحدث معها.

فقالت سعاد وهي تتألم داخليا: طيب يا سيدتي ولكن ســـوف اصرخ من أجل أن كل الناس يخرجوا للتحدث معي. ولا أهـــتم إذا حدثت أي جريمة حتى أموت، فقد اطمأنت على مســـتقبل حمـــزة فصرت لا أهتم بما سيحدث لي.

وردت عليها السعدية وهي غاضبة: كفى! وكم انك حقـــيرة. طيب سوف أفعل ما قلته ولكن بشرط أن بعد هذا اللقاء لا أريد أن أرى وجهك في مرة أخرى. هيا يا ابنتي فتيحة.

رجعت كل من السعدية وفتيحة إلى منزلهن دون أن يذهبن الى المكان الذي كانتا تريدان أن تذهبان إليه. وأثناء داخلوهم إليه قالت فتيحة: يا خالتي السعدية عبد العزيز ربما سيغضب من دخول سعاد للبيت.

فنظرت السعدية إلى فتيحة ثم ذهبت في اتجاه المطبخ. وبعد مدة قصيرة بالفعل قامت السعدية بطلب سعاد لأنّها قد خشـــيت مـــن

حدوث أي مصيبة، وطبعا لم يوافق الجيران على هـذه الـدعوة في الأول، ولكن استطاعت السعدية إقناعهم بالمجيء وبعضهم جـاءه الفضول للتعرف على ما تريد سعاد قوله لهم، والبعض الآخر سيأتي من أجل أن يهينوا سعاد ويبدو أنهم مازالوا حاقدين. وبعد سـاعة اجتمع الجيران في بيت السعدية وبينهم رشيدة. وبالفعل غضب عبد العزيز (زوج فتيحة) من أمر الاجتماع مع سعاد ورفض بالكل أنهـا تدخل إلى بيته، ولكن أقنعته والدته السعدية بهذا اللقاء وقالت لـه: اهدأ يا بني وهي لن نعيد النظر إلى وجهها بعد أن تقول ما تريده.

وكانوا الجيران في انتظار سعاد سألوا (ماذا تريد قولـه تلـك المرأة؟) فخرجت مع فؤاد وخالد، واستغرب الجيران مـن هـؤلاء الرجال الذين أتوا معها ولكن بعض الجيران تعرفوا علـى خالـد. وكانت النظرات نحو سعاد نظرات الكراهية والغضـب وقالـت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا جماعة.

فوقفت بعض الجارات وهن ينظرن إلى سعاد كأنهن يريـدن أن يهجمن عليها.

وقالت إحداهن: لا نريد من عندك سلاما ولا إحسانا. قولي ما تريدين قوله ثم اذهبي من هذا الحي قبل أن تقذريه مرة أخرى.

تدخل عبد العزيز وهو لا يريد النظر إلى وجه سعاد: كفى يا أيتها السيدات، ويا أيتها المرأة اعتذري ثم ارحلي. وأعتقد بأن سبب قدومك هو الاعتذار أليس كذلك؟

وقالت سعاد: أي اعتذار؟ يا عبد العزيز ومن يجب أن يعتذر؟ ومن يلقيه؟ وإذا يجب أن أعتذر سأعتذر من أبنائي لأننا خرجنا من المدينة التي كبرا فيها بسبب خوفي وبسبب أن أهلي ظلموني كثيرا. لكن ماذا كان يجب أن أفعل أمام عيونكم المليئة بالغضب والكراهية حينها، وفي الحقيقة أنا خفت من حدوث لي أي شر ولكن لا.. ليس من أجلي بل من أجل أبنائي وخفت من ألا أكون معهما وخاصة حمزة الذي هو من ذوي الاحتياجات الخاصة وكان يحتاج إلي. ولهذا السبب أنا وأبنائي الاثنين قد ذهبنا إلى اتجاه مجهول والحمد لله قد وجدنا الترحيب والقلوب البيضاء هناك، ولكن بقي قلبي يؤلمني بسبب الظلم الذي تعرضت له من عندكم ومنذ يومها أتمنى أن أعود من أجل أن أثبت لكم إني بريئة من القذارة التي نعتموني بها. لهذا أتيت...

فقاطعتها رشيدة بغضب: يا سعاد أنتِ خفت على أبنائك من أن يحدث لهم أي شيء، ولكن أبناء الناس ليس مهما ما يحدث لهم؟ أين ابني وزوجي، وهما قد ضاعا بسببك وبسبب أنانيتك، زوجي قد

مات في السجن وأما ابني ضاعت سنوات من عمره وراء باب من الحديد. ألا تخجلي من وقوفك أمامي وأمام الناس المحترمين.

وقالت سعاد: أولا أتمنى لك من قلبي السعادة مع أبنائك في السنوات القادمة. ولكنني لست سبب ما حدث في تلك الليلة بل زوجك المرحوم هو سببه وتعرفين هذه الحقيقة ولكن تعاملت كأنك لا تعرفينها وهو من الناس الذين ظلموني كثيرا..

فقالت السعدية بغضب: كفى يا سعاد كفى. قولي ما تريدينه وارحلي من هنا كما وعدتني.

ردت عليها: طيب يا سيدتي السعدية، ولكن أولا قد ذكرتني رشيدة بأني يجب أن أعتذر وأشكر ذلك الشاب البطل الذي لم يسمح أن تتعرض جارتهم للإهانة في بيتها، على الرغم أن هذا أدى به إلى الدخول إلى المستشفى بسبب أقرب أصدقائه. وبالرجوع إلى موضوعنا؛ قد رجعت اليوم من أجل سبب واحد وهو أن أثبت لكم براءتي من كل الجرائم التي اتهمتوني بها. ولن أغادر من هنا إلا حين أحقق هدفي وبالتالي تحقق العدالة وستعرفون أنكم ظلمتموني كثيرا. واعرف أنكم لن تصدقوني على الرغم مما سأقوله، لهذا أتيت رفقة الرجل الذي يعرف الحقيقة الكاملة لأنه السبب الرئيسي في كل ما حدث لي. ورغم ذلك فقد طلبت منه القدوم من أجل أن تعرفوا

الحقيقة الكاملة، ولكن ليس من أجل أن تتحدثوا معي وان يرجع الاحترام والحب الذي كان بيننا، لأنني من المستحيل أن أسامحكم. تحدث يا سيدي خالد.

فنظرت إليه وحتى فؤاد نظر إليه كأخ قال له بعينيه (هيا يا حقير أخبرهم بالحقيقة الكاملة أو سوف أنفذ وعدي) فاقترب خالد أمام سعاد ونظر إلى الجيران بنظرة مليئة بالخوف وفي نفس الوقت بالجرأة، كانت مشاعره ليست مفهومة.

وقال والكلمة تخرج من فمه ليست بسهولة: السلام عليكم... السلام عليكم... السلام.. أنا.. أنا كنت..

فقال عبد العزيز: وعليكم السلام ورحمة الله يا أخي الكريم. ولكننا لا نضع على عنقك أي سيف إذن لماذا هذا التوتر؟ قل ما تريد قوله بسرعة وأخبرنا من أنت؟

قال خالد بكل جرأة: أعتذر يا سيدي. أنا كنت مدير سعاد في فندق دار وليد. كلام سعاد صحيح وبالحقيقة إني، لم أتخيل نفسي أن أقول الكلام الذي سأقوله الآن ولكن بالحقيقة اني كنت أنا من حاول الاقتراب من سعاد وليست هي من أجل الدخول في علاقة معها لأني كنت قد سحرني جمال جسدها ولكنها لم يصدر منها فعل

رضى بل على العكس من ذلك كانت تحاول تجنب محاولاتي في الاقتراب منها، وكانت تعمل بكل احترام وطهارة. وأنا كنت غبي، نعم كنت غبي لأن الإنسان الذي ضيع حياته ومستقبله أغبى واحد في العالم: كانت لدي وظيفة جيدة في فندق معروف ولكن رغبتي القوية عندما أرى امرأة جميلة جسديا أريد الحصول عليها وعلى أن أمضي القليل من الوقت معها كالذئب عندما يرى فريسته. وهذا جنون، فنعم أنا مجنون، لكنني لست الوحيد بل طبيعة كل الرجال ولكن خسرت عملي وراء هذه الرغبة، وحتى..... حتى أسرتي قد خسرتها..... ولكن لماذا أقول لكم ذلك الآن؟! والذي مهم عندكم أن تعرفوا أن سعاد بريئة من كل الأكاذيب التي اطلقوها عليها بأنها كانت بيننا علاقة واعترف بأني كنت أتمنى حدوث هذا ولكن سعاد لم توافق أبداً بل على العكس قد خرجت من عملها مباشرة بعد اعترافي لها بإعجابي بها. ها انتم عرفتم حقا ماذا حدث بيني وبين سعاد.

بدأ الجيران ينظرون إلى بعضهم البعض بنظرة شك. (كلام هذا السيد من الممكن أن يكون صحيح؟ ومن الممكن أن سعاد تكون بريئة؟ ولكن ماذا عن جمال.. ماذا حدث بينه وبينها في تلك الليلة؟) هكذا كانوا يقولوا في أنفسهم.

فقالت السعدية لخالد: يا سيدي كيف نعـــرف أن كلامـــك صحيح وهو الذي حدث حقا؟ فمن الممكن أنها أتت بك من أجـــل أن تكذب علينا، وهل لديك دليل؟

(وفي ذلك الوقت كانت تتألم من كلام السعدية التي كانـــت مثل أمها وأيضا من نظرات الجيران نحوها بصمت).

رد خالد على السعدية: لا ليس لدي دليل يا ســـيدتي.. أوه! ولكن انتظري يا سيدتي في الحقيقة توجد بينكم سيدة يمكن لهـــا أن تؤكد كلامي لأني حاولت الاقتراب منها ولكنها كانت على عكس سعاد كانت.... مهم أنها تستطيع تأكيد كلامي.

وانتشر الصمت في بيت السعدية، وهذا الصمت كان قاتـــل على قلب سعاد والجيران كانوا في انتظار رد فعل تلـــك الســـيدة المجهولة إذا كانت بالفعل موجودة. فجاءة جاءت رسالة من إحدى السيدات...

تم قرأتها فتفاجأت كثيرا ووقفت، فصار الكل ينظر إليها

وقالت: السلام عليكم. لا داعي لأن تفهموني خطأ ولســـت تلك السيدة التي تحدث عنه هذا السيد، ولم يسبق لي أن أعمـــل في أي فندق. ولكنها، ولكنها بعثت لي رسالة؛ أكدت كلام هذا السيد

وقالت.. اعتذر منك يا سيدي عما سأقوله، ليس كلامي وكلامها هي وقالت: هذا الحقير قد استغلني كما استغل سعاد. وهذه هي الحياة الغني يستغل الفقير مهما يشأ وبعد الاستغلال قد رماه مثل قمامة، يا له من إنسان قذر هذا السيد.

فابتسم خالد والابتسامة تدل على أن وراءها سر. وأما الجيران نظروا إلى بعضهم البعض باستغراب وظهر عليهم الندم كأن ضميرهم بدا يصحو. وفي نفس الوقت قد كانوا يتساءلون من تلك السيدة

فقالت سعاد والنار في قلبها بدأت تنطفئ: ليس مهما التعرف على من هي تلك المرأة، وأريد أن أشكرها جزيل الشكر على تدخلها. انتم أصبحتم تعلمون ما حدث في الفندق بتلك السنة السوداء، صار يمكنني..

قاطعتها إحدى الجارات: طيب يا سعاد لم يكن بينك وبين هذا السيد شيئا، ولكن ماذا عن جمال؟ ولماذا كان عندك في تلك الليلة؟ مستحيل أن كل ما حدث بسبب سوء فهم، مستحيل.

تدخلت رشيدة قائلة: يا أيها الناس. أولا لا استطيع أن أسامح سعاد لأن بسببها قد دخل ابني إلى السجن. لكن زوجي المرحوم

عندما لم يكن في وعيه أي رغبة كانت لديه يريد أن يفعلها سوى بترحيب أو سوى بقوة. من قبل، من قبل تلك الليلة بطريقة ما اعترف لي بإعجابه بسعاد.

وأعتقد أن في تلك الليلة قد ذهب جمال عند سعاد لكي يلبي رغبته معها وكما علمنا أنه كان تحت تأثير الخمر. ولا أدري ما الذي حدث بالضبط ولكن يبدو أن سعاد لم توافق على ما كان يريده جمال.. رغم ذلك لن أسامحك يا سعاد والسبب قد ذكرته.

قالت سعاد: شكرا على هذا الاعتراف يا أُختي رشيدة، وصدقيني أنا لم أكن أريد أن تصل الأمور بين ابنك ومعاذ إلى ما حدث، لكن لو لم يتدخل بيننا معاذ كان من الممكن أن ابني حمزة صار له أي شر وفي الحقيقة، في الحقيقة أن جمال قد حاول مهاجمة حمزة والحمد لله أن تدخل معاذ في الوقت المناسب.

وحتى أنا لن أسامح جمال أبدًا... وانتم أيضا لن أسامحكم. ها الآن يمكنني أن أرحل كما تريدون وأعدكم أنكم لن تروني بعد الآن.

وبدأ على الجيران التأثر بكلام سعاد، وبدأوا يلومون أنفسهم على أنهم لم يحاولوا التعرف على ما حدث حقا بتلك الليلة وعلى

صحة الأخبار التي قد صدرت حول سعاد. فجاءت فاطمة، وكما العادة جاءت بطبيعتها التي هي أنانية ونظارات أنانية رغم أنها الآن ليست هي تلك التي كانت قبل عشر سنوات. وبدأوا الناس في القول: ها فاطمة هي أول من أشاعت تلك الأخبار حول سعاد ومديرها بأن بينهما شيئا..

وفاطمة قد تفاجأت عندما رأت سعاد وخالد، وعندما سمعت ما الذي يقولوه الجيران تفاجأت أكثر ولم تكن تدري ماذا قالت لهم سعاد. والأخرى أيضا إن العدالة الإلهية انتقمت منها على كل الشر الذي عملته لسعاد ولأبنائها.

بعد انتقام فاطمة من سعاد لم تطفئ نار الكراهية في قلبها، بل زادت كأن يوجد في روحها كائن غريب يذكرها بأنها لم تتزوج من كانت تحب بسبب سعاد دائما.

ومع الأيام أصبح الأمر جنون مما قد أثر على حياتها كلها، وخاصة حياتها العملية حيت أنها لم تكن تقوم بالعمل كما يجب وكانت ترتكب الأخطاء مما أذى إلى طردها من العمل. وهذا زاد الأمر صعوبة وقد دخلت إلى منزلها والمنزل الذي لا يعيش فيه أحد معها، وقد عاشت لوحدها ولم تخرج لأيام وكلها قد قضتها في التفكير وفي ذكرياتها مع زوج سعاد المرحوم لأنّها كانت تحبه وأهله

كانوا يريدون أن تكون زوجة ابنهم لدرجة أن في أحد الأيام كانت تستعد لزفافها معه، ولكن في الأخير قد تزوج من سعاد ومن هناك جاءت كراهية فاطمة لسعاد. طوال المدة التي قضيتها داخل المنزل كانت تتخيل أنه أتى عندها زوج سعاد "حسن" وتخيلت كيف تكون حياتهما إذا تزوج منها وليس من سعاد.

وبعد تلك المدة خرجت حينها قد أصبحت فاقدة العقل وأذى بها إلى الإدمان. وإضافة إلى الإدمان من أجل أن تنسى ما كانت تحس به كانت تقوم بعلاقات غير شرعية مع العديد من الرجال، مما أصبح الناس يتحدثون عنها هي أيضا ولكنها لم تكن بريئة مثل سعاد..

وفي عودة إلى دارها بعد أن سمعت الجيران يقولون إنها نشرت أخبارا كاذبة حول سعاد، وقالت وهي تحت تأثير المخدرات: ماذا تقولون؟ يا أيها الناس. يا خالتي السعدية لماذا هذه الحقيرة في بيتك؟ وماذا قالت لكم؟ مهما قالته لن تثقوا بها.. يجب عليك يا خالتي أن تطرديها من بيتك لأنّها إنسانة حقيرة، هيا يا خالتي هيا يا أيها الناس لماذا انتم صامتون؟ ولم امنعوا هذه الحقيرة من الدخول مع حبيبها. وهل لم تعرفوا هذا السيد؟!

فهو الذي كان مديرنا في الفندق وكانت بينه وبينها علاقة غير شرعية، ويبدو أنها الآن حصلت عليه لوحدها وانه تخلى عن الكل من أجلها. يا رجال لماذا لم تطردوهما من...

فقالت السعدية بغضب: اصمتي يا فاطمة وكفى من ٠الكذب. قد عرفنا ما الذي حدث بالضبط في تلك السنة بلسان هذا السيد: هو وسعاد لم تكن بينهما أي علاقة إلا علاقة العمل. فنعم انه حاول ولكنها لم تستسلم لرغبته الجنسية.

إذن لماذا أطلقتم حولهما كل هذه الادعاءات الكاذبة هي وجمال؟ ودنفهم أن جمال كان يريد منها شيئا ولكن ماذا عنك؟ ولماذا تكرهينها؟ وهل السبب هو ما حدث في شبابكما؟ عليك اللعنة وانا لن أسامحك أبدًا لأنك جعلتني أظلم الفتاة التي كنت اعتبرها كابنة ثانية.. بل ابنتي الثانية حقا..

فردت فاطمة وقد جن جنونها: لا يا خالتي، كل ما قلته عن سعاد انه حقيقة حيث أنها حقيرة وليس لها إخلاص، ودليل ذلك أن هذا السيد "خالد" ترك زوجته وأبنائه وكل شيء من أجل أن يكون معها. لقد أخذته من زوجته مثل حسن أخذته مني، فهو كان زوجي وليس زوجها. هي مجرمة وحقيرة لأنّها تسرق الأزواج من زوجاتهم..

فقالت السعدية بأعلى صوت: اخرسي يا فاطمة، وفي أي سنة كان حسن زوجها زوجك؟ وهو رحمه الله قد اختار قلبه سعاد تكون زوجته ولست أنت؟ يا لك من امرأة حاقدة ويا لنا من أغبياء لأننا صدقناك وقد ظلمنا امرأة طيبة مثل سعاد والسبب هو حقدك. الآن أنتِ التي يجب أن تخرج من بيتي، هيا..

فقالت سعاد: بعد أن تحقق الهدف الذي من أجله أتيت يجب أن ارحل كما تريدون. كنت أتألم من جرح عميق في قلبي بسبب كل ما حدث لي وخاصة مع ناسي وأحبابي، رغم أنه لا يخفى عليكم لا يزال يكمن في قلبي وقد هدأ قلبي قليلا لأن الناس عرفوا الحقيقة الكاملة. آسفة على الإزعاج وبعد إذنكم سأغادر.

لقد غادرت سعاد البيت، لا السعدية ولا أحد لم يستطع أن يقول لها شيئا واحدا لشدة ندمهم على ما فعلوه معها وأنهم قد ظلموها كثيرا. وأما السعدية بدأت الدموع تسقط من عينيها دون أن تدرك ذلك لأنّها قد خسرت ابنتها إلى الأبد، والذي كان يصبرها كل هذه السنوات الماضية هو أنها كانت تظن أن سعاد مذنبة، والإنسان يستطيع أن يواجه ضميره أو إحساسه بالذنب حينما يكون معتقدا أن الطرف الآخر هو مذنب ولكن إذا عرف أنه كان مخطئ لا يستطيع أن يواجه تأنيب الضمير ويبحث عن تبرير

لفعله ولماذا لم يصدق الآخر. والسعدية ليست الوحيدة التي كانت تائهة ماذا يجب أن تفعل من أجل أن سعاد تسامحها بل عموم الجيران كانوا في حيرة من أمرهم إلا القليل من الجيران مازالوا يلومون سعاد رغم كل ما سمعوه كأنهم يلومونها على أنها أرملة.. على وفاة زوجها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هذا هو تفكيرهم بدلا من التفكير بتغيير نظرتهم حول الأرملة أو المرأة التي ليس معها رجلا بشكل عام، ودين الإسلام بريء من هذه النظرة وعلى الرغم من ذلك فأن الآخرين لهم فكرة خاطئة عن دين الإسلام بسبب هذه النظرة مع الأسف الشديد.

وأما فاطمة كانت تنظر إلى الباب وهي تقول (سعاد حقيرة، حقيرة. يا جماعة لن تثقوا بها لأنّها كاذبة وتسرق الأزواج من نسائهم مثل ما فعلته لي أنا. وحسن كان زوجي وكان يحبني أنا وليست هي، وفقط قامت بفعل سحر له.

يا جماعة أرجوكم صدقوني) خارج بيت السعدية كانت سعاد مستمرة في الخروج وترك المكان. خارج البيت كان فؤاد وخالد، وعندما كانت تتوجه إلى سيارة فؤاد كانت في مراقبتها امرأة بلغت من العمر 84 سنة فاقتربت منها وقالت: السلام عليكم يا سعاد، كيف حال أبناء ابني؟

فوقفت سعاد دون أن تنظر إلى الوراء، وقد عرفت هذه المرأة فإنها جدة حمزة وأناس.. نعم جدتهما التي لم يروها حتى قبل رحيلهم لسنوات وسنوات. فردت عليها بجملة قصيرة جدا (أبناء ابنك بخير الحمد لله، شكرا) ثم أكملت السير وعندما كانت تحاول أن تفتح باب السيارة سمعت اسمها بأعلى صوت (يا سعاد!.. يا بنتي سعاد) كانت تلك السعدية قد خرجت من بيتها على أمل أن تستطيع إيقاف سعاد من أجل التحدث معها ومن أجل أن تعتذر منها كما يجب ولكن سعاد تجاهلت نداءها حيث أن قلبها مستحيل أن يسامح السعدية رغم كل الحب الذي كانت تشعر به اتجاهها حب مثل حب الابنة للأم لأن حبها الذي كان في قلب سعاد قد تحول إلى جرجدح جد عميق، وخاصة أن السعدية كانت مثل سعاد في يوم من الأيام.. فنظرت إلى فؤاد وقد فهمها ثم ركبت في سيارته وهو أيضا ركب بسرعة ثم انطلقت السيارة أمام أنظار الكل، وكانت نظرات خالد تدل على أنه غير راض عن عدم الذهاب معهما. فانفجرت السعدية ومعها بعض الجارات، إذا انهار أي بيت مستحيل أن يرجع الى نفس ما كان عليه.

سعاد وفؤاد خرجا من مدينة الدار البيضاء من أجل العودة إلى مدينة طنجة، ولكن في طريقهما دخلا إلى محطة استراحة ليست بعيدة عن مدينة الدار البيضاء حيث أن مباني الدار البيضاء مازالت

ظاهرة. ترجلوا من السيارة ثم مباشرة ذهبت سعاد إلى جانب المحطة لكي تنظر إلى تلك المباني: وأخيرا أتمكنت من البكاء لكي تتخلص مما جمعته من الأحاسيس السلبية ومن الظلم ومن أنانية البشر وقد انفجرت بالبكاء.

وكانت تبكي أمام فؤاد ولكنه لم يحاول أن يوقفها بل على العكس قد فرح أنها بكيت حيث أنه رآها كانت صابرة في بيت السعدية رغم كل الظلم والإهانة التي تعرضت إليها، فاشفق عليها ولكن لم يقترب منها. كانت تبكي وتقول (أخيرا عرفوا، أخيرا عرفوا الحقيقة. أخيرا أثبتت براءتي الحمد لله) فقد بكيت وأفرغت كل ما في نفسها مدة ثلاث دقائق ثم هدأت واقتربت من فؤاد.

قالت: اعتذر عن اني انفعلت ولكن لم أستطع أن اصبر بعد. اعتذر يا سيدي فؤاد وشكراً.

ورد عليها: لا.. لا وعلى العكس أنا الذي من يجب أن يشكرك.... أشكرك جزيل الشكر على أنك سمحت لي أن أكون مرافقك في هذه الرحلة التي من خلالها قد اثبت براءتك أمام الناس الذين ظلموك. وفي الحقيقة أني ضحكت لأنك بكيت فإن البكاء هو وسيلة لطرح ما علق بالقلب والنفس، أنتن محظوظات لأن من حقكن البكاء. ومن عيونك يبدو حبك لمدينة الدار البيضاء، فلماذا

لا ترجعي أليها في يوم ما لتعيشين فيها ولكن بشرط ألا تنسي مدينة طنجة.

فقالت سعاد وهي تضحك قليلا: طبعا لن أنسى مدينة طنجة لأن فيها عائلتي. بالفعل يا سيدي فؤاد وقد راحت بعد أن بكيت، وكنت حاملة حجر ثقيل في قلبي ولكن بعد أن عرف جيراني القدماء الحقيقة قد ذاب مثل ما يذوب السكر في الماء. والآن أصبحت سعاد التي تستطيع أن تعيش بسعادة وحب مع أبنائها بلا تفكير إلا باليوم الذي ستحمل بين ذراعيها حفيدها الأول. وهذا هو ما أريده، وأتمنى من ابني حمزة وابنتي لطيفة أن يفرحوني بذلك قريبا.

(قد أصبحت سعاد مبتسمة ويا لها من ابتسامة)

قال فؤاد بابتسامة: إن شاء الله يا سيدتي سعاد، إن شاء الله نسعد كلنا بذلك وسيكون ابن حمزة غالي بإذن الله.

أنأخذ وجبة الغداء في مطعم المحطة؟

لقد وافقت سعاد. وبعد أن تناولوا وجبة الغداء طلبوا القهوة وفي انتظارها كانت سعاد سعيدة جدا، وقد أصبحت ضاحكة والابتسامة على وجهها لم يسبق لفؤاد أن رآها وهذا طبيعي لأنّها

قد تحررت مما كان يؤلم قلبها على الرغم من أن ذلك الجرح مستحيل أن يختفي بالكل، ولكن نفسها قد ارتحت. وكانت نظرات فؤاد لسعاد مليئة بالحب والفرحة من القلب.

وقال: يا سيدتي أنا سعيد برؤية هذه الابتسامة على وجهك، وإن شاء الله ستكون حياتك في الأيام المقبلة كلها مليئة بالسعادة وبالحب مع أبنائك وأبنائهم و... يا سيدتي سعاد أريد التحدث معك في الموضوع الذي كنت أريد أن ننظم لقاء من أجله منذ مدة ولكن..

فقالت له: يا للهول، اعتذر يا سيدي فؤاد وقد نسيت أمر الموضوع، أخبرتني به في زفاف حمزة ولطيفة ولكن بالي كان مشغول بهذه الرحلة إلى الدار البيضاء. اعتذر لأني لم أجبك للتحدث فيه من قبل.

رد فؤاد: على العكس تماما أعتقد بأن الآن وقت جد مناسب. وفي البداية أحس بأنكم عائلتي أنتِ وحمزة وأناس وأيضا ابنتي لطيفة ولكن لا أعرف هل من حقي أن أحس بذلك أو ليس من حقي ولكن... ففي تلك الليلة التي كان حمزة في مركز الشرطة أحسست بأني حصلت على العائلة بعد سنوات طويلة من العيش بمفردي.

وكنت أعيش لوحدي أكثر من 30 سنة بعد وفاة زوجتي ولم أدخل إلى حياتي أحدا من بعدها.

وكنت أعتقد بأنني السبب في موتها لأنه قبل موتها وقعت بيننا مشكلة لهذا خرجت من المنزل ذلك اليوم وتعرضت إلى حادث مميت، والحقيقة اني قد ظلمتها كثيرا وحتى أنا صدقت ما سمعته. أظن أن السيدة السعدية محظوظة لأنّها استطاعت أن تقول لك سامحيني أما أنا فلم أستطع حيث أنني حينما عرفت الحقيقة لم تكن في هذا العالم. وهكذا عشت طول السنوات الماضية بين ألم تأنيب الضمير وبين ألم الفراق، لكن حين دخلتم إلى حياتي قد أشرقت عليها الشمس مرة أخرى، وهذه حقيقة وليست مجرد مجاملة.

قالت سعاد وهي قد تأثرت بقصة فؤاد: يا سيدي فؤاد حتى حمزة وأناس يحبونك كأخ كبير أو كأب، ونحن نشكرك على وجودك في حياتنا. أؤكد على أن زوجتك قد سامحتك لأنّها قبل ذلك اليوم كانت تعيش معك بسعادة أكيد.

فوقفت عيون فؤاد للنظر إلى سعاد، وكلها مليئة بالحب والأمل، وحتى سعاد نظرت إليه بابتسامتها.

فقال لها: يا سيدتي سعاد أتمنى ألا تأخذي موقف مما سأقوله الآن ولا أتمنى أن يتغير شيئا في العلاقة الأخوية التي بيننا إذا لم تقبلي ما سأقوله. نحن قد رحلوا من حياتنا الأشخاص الذين كنا نريد منهم أن يكونوا أحبابنا وأصدقائنا في هذه الحياة ولكن القدر قال شيء آخر، وأظن بأنهم يريدوا أن يرونا سعداء. لذا يا سيدتي سعاد... ممكن.. ممكن أن أكون صديقك القريب فيما بقي من العمر؟ ولكن لا تظني بأني أريدك أن تبتعدي عن أبنائك بل على العكس أريد أن أكون فرد من أسرتكم.

لقد صدمت سعاد مما قاله فؤاد ولكنها لم تستطع أن توافق ولا أن ترفض، فظلت صامتة في مكانها ولم تنطق ولو بكلمة واحدة ففكرت: إذا وافقت على طلب فؤاد وإذا التقت بأب حمزة وأناس في العالم الآخر وليس هذا العالم ومعها زوج آخر ماذا سيكون شعورها حينها؟ وأما فؤاد كان ينتظر إجابتها مثل الشمعة تحترق كان قلبه.

فما رأيكم في الزواج الثاني بعد رحيل الزوج الأول؟

وفي ختام الرواية نتمنى أنها أعجبتكم وأوصلت لكم مجموعة من الرسالات والعبرات، ونتمنى أن هذه الرواية قد منحت الأشخاص في وضعية إعاقة عميقة إرادة لتغيير الحياة وليس الأقدر

لأنه لا يمكن التغيير إلا بأيديهم. وكل ما قلناه من المعلومات حول إعاقة الشلل الدماغي عن تجربة شخصية. فقد انتهت رحلتنا الإنسانية مع أسرة سعاد وحمزة (قد اسمينا هذه الرواية بالرحلة الإنسانية لأننا قد عشنا من خلالها قصة سعاد وحمزة بكل مشاعرهما والعقبات التي مروا منها واكتشفنا حقيقة نظرة المجتمع) وفي نهاية الرحلة الإنسانية سوف نطرح بعض الأسئلة للتفاعل:

– إذا حدثت نفس قصة سعاد في حيكم هل ستكون نظرتكم نفس نظرة جيرانها؟.

– يا سيدتي إذا حدث لك ما حدث لسعاد هل تستطيعين أن تتخلي عن كل شيء مثلها؟

– إذا التقيتم بشخص في وضعية إعاقة عميقة للغاية يعمل بالشارع مثل حمزة ما سيكون شعوركم؟

– قد تزوج حمزة من لطيفة رغم إعاقته الصعبة فيا ترى هل من حقه أن يتزوج؟ وهل هذا ظلم للطيفة؟ وهل هذا الأمر مجرد شفقة منها أو بالفعل أنها أعجبت بشخصيته؟

النهاية

من توقيع الكاتب الهاوي:

عثمان يا عثمان

وفي التصحيح الأستاذة الكريمة:

السالكة الراجي

وشكرا على قراءتكم

انضم إلى مجموعة دار بسمة على واتساب، من هنا

اشترك في نشرتنا البريدية لتتوصل بآخر إصدارتنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَة والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

زمن الظلم

عثمان يا عثمان

في زمنٍ لا يرحم... تقف *سعاد*، الأرملة العصامية، وحيدةً في وجه مجتمعٍ يثقلها بالنظرات قبل الأعباء، وهي تحارب لتُبقي بيتها قائمًا وأملها حيًّا.

وبين فقرٍ يطحن اليوم، وابنٍ يحمل إعاقةً قاسيةً ويتلقى نصيبه من الإقصاء والجهل، تتحوّل الحياة إلى معركة صامتة لا يسمعها أحد... إلا من عاشها.

وحين تتسلّل الشائعات كالنار، ويُحاكمها الجيران لأن "لا رجلَ في البيت"، تكتشف سعاد أن الظلم قد يأتي من أقرب الناس.

«زمن الظلم» روايةٌ عن الكرامة حين تُحاصر، وعن قلبٍ يواصل الوقوف... لأن السقوط ليس خيارًا.

Bassmabook
00212771814934
darbassma1@gmail.com